روايات مصرية للجيب

سلة الروايات

8

Looloo
www.dvd4arab.com

تماسيح نيلية

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٠٥٤ - ٢٨٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٣٧٠٥٤

لـوتـس

فى قلب التاريخ ، تسكن حضارة مصر القديمة .
بكل جمالها وقوتها .
حقائقها وأساطيرها .
نورها ونارها .
من قلب النيل نبعت هذه الحضارة .
كزهرة لوتس عطرة الرائحة .
ندية الملمس .
متألقة الألوان .
وإلى قلب الماضى ، نبحر فى قارب من البردى .
نجوب أجواء زمان ولّى .
مخلفًا آثاره التى لا تزول .
شامخة فى وجه الدهر .
وفى وجوه حاملى معاول الهدم والتشويه .
إنها زهور أينعت منذ فجر الوجود .
فتفتقت أوراقها .
وانتشرت أنوارها إلى كل الحضارات الإنسانية الأخرى .
إنها زهور لوتس .
فى قلب مصر .. القديمة .

محمد سليمان

١ ـ عيـن ..

الشمس تزحف فى بطء نحو مصيرها المحتوم ، عند حافة الغروب ..

النسائم العصرية تهب من الجنوب محملة بغبار الربيع ، وصهر صيف يستعدّ للحلول ..

ظلان طويلان يرتسمان على أرضية الفناء الخلفى لمبنى (لوتس) ، القابع ـ كطفل وديع ـ فى أحضان جبل طيبة الغربى ..

ظلان طويلان ، أحدهما لشاب أسمر ، مجعد الشعر فاحمه ، حاد القسمات ، مفتول العضلات ..

والآخر لرجل طعن فى الشيخوخة ، أصلع الرأس تمامًا ، تنم ملامحه عن فتوة قديمة فى عهد مضى ..

ظلان متواجهان ، يمسك كل منهما برمح طويل ذى رأس معدنى مدبب ..

التحدّى يشع بريقًا فى العيون الأربع ..

هتف الأصلع :

ـ ابدأ ..

اندفع الشاب نحوه مسددًا الرمح إلى صدره مباشرة ..

لكن الأصلع ـ بحركة دفاعية مدروسة ـ دفعه برمحه جانبًا ..

نظرات التحدى تلمع فى العيون من جديد ..

دار كل منهما حول الآخر .. فى دائرة ذات قطر ثابت ، كصياد يحوم حول فريسته ..

ولكن أيهما الصياد ؟ وأيهما الفريسة ؟!

صاح الأصلع ثانية :

ـ هيّا ..

اندفع نحوه الشاب مرة أخرى ، مسددًا برمحه عدة ضربات سريعة متلاحقة ..

لكن الأصلع استطاع صدها كلها ..

وقف الشاب يلهث ، وهو يستعد لهجوم جديد ..

ـ أداؤك جيد يا (حورى) .. ولكن تعلّم ..

لا تدع خصمك أبدًا يتنبأ بحركتك المقبلة ..

وفوجئ الأصلع ـ قبل حتى أن يتم عبارته ـ برمحه يطير فى الهواء ، ويسقط بعيدًا عنه بمسافة لا تقل عن المترين ..

ثم وجد رمح (حورى) مصوبًا إلى صدره مباشرة ، و (حورى) يبتسم فى ظفر قائلاً :

ـ سمعًا وطاعة ، معلم (باحرى) ..

ـ أنت تتعلم بسرعة يا (حورى) ..

اتسعت ابتسامة (حورى) الظافرة ، بينما تابع المعلم (باحرى) :

ـ ولهذا فإليك الدرس الثانى ..

لا تدع خصمك يمتلك زمام المفاجأة ..

وفى سرعة خاطفة ، قبض المعلم (باحرى) على الرمح المسدّد إلى صدره ، ودفعه ليضرب صدر (حورى) ويدفعه للسقوط على الأرض محتملاً على ساعديه ..

وانقلبت الآية ، المعلم (باحرى) يسدّد الرمح إلى صدر (حورى) متممًا عبارته فى هدوء :

ـ أبدًا ..

تصفيق من بعيد ..

شاب نحيف ذو عينين خضراوين ولحية خفيفة يتقدم نحوهما آتيًا من جهة المبنى ، هاتفًا فى مرح طفولى :

ـ رائع .. يا له من عرض مبهر حقًا !

ـ أما زلت تتهرّب من دروس المبارزة يا (محب) ؟!

سأله المعلم (باحرى) هذا السوال وهو يبعد رمحه عن صدر (حورى) ، الذى نهض ينفض عن ثيابه ما علق بها من تراب الأرض ، كابتًا فى أعماقه شعوره بالهزيمة ..

ذلك الشعور الذى يمقته كالجحيم ..

مد (محب) كفيه أمام المعلم (باحرى) قائلاً :

ـ إن يدىّ لم تخلقا لإمساك الرمح أو الدرع .. إنهما مغرمتان أكثر بالإزميل والمطرقة والألوان ..

تساءل (حورى) وهو يلتقط الرمح الساقط ، غير مخف سخريته :

ـ هل سمعت عن جندى حارب بالإزميل والمطرقة من قبل ؟!

قال المعلم (باحرى) فى رزانة :

ـ العقل إلى جوار القوة ، ثم تكون الحضارة يا (حورى) ..

ـ ولكن القوة زائلة ، لا تستطيع الصمود أمام جبروت الزمن وطغيانه ..

قالها (محب) وهو يشير إلى ذراعه النحيفة ، ثم أشار إلى رأسه وهو يتابع :

ـ أما العقل ، فآثاره باقية ، تخرج لسانها للزمن مهما عتا وتجبر ..

قال (باحرى) بنفس الرزانة :

ـ لا غنى لهذا عن ذاك .. العقل يصنع الحضارة ، والقوة تدافع عنها ..

أراد (محب) أن يستمر فى مناقشته .. لكن (حورى) قطع عليه الطريق قائلاً :

ـ لنؤجل هذا الحديث الشيق ونستكمله لاحقًا .. فما زال لدينا درس رماية قبل مغيب الشمس ، معلم (باحرى) ..

وافقه المعلم (باحرى) بإيماءة من رأسه ، والتفت نحو (محب) يسأله :

ـ ألن ترافقنا فى هذا أيضًا يا (محب) ؟!

هزّ (محب) رأسه نفيًا ، وأشار إلى (حورى) قائلاً :

ـ ولن يرافقك (حورى) كذلك ..

فى استخفاف سأل (حورى) :

ـ ولِمَ ؟!

ـ لقد أرسل المعلم الأكبر (تحوت) فى طلبنا !

انعقد حاجبا (حورى) فى ضيق ، بينما تابع (محب) وابتسامته تتسع :

ـ يبدو أننا سنعمل معًا مدة أخرى يا زميلى العزيز !

* * *

ما زالت صومعة المعلم الأكبر (تحوت) غارقة فى الظلمة الباعثة على الرهبة، والموحية بالغموض .. تنيرها إشعاعات ضوء خافتة غير معروفة المصدر، وتغمرها عطور بخورية تسكر الوجدان ..

وما زال المعلم الأكبر (تحوت) هائمًا فى ملكوته الخاص، جالسًا القرفصاء أمام البرديات المزركشة بالنقوش والطلسمات .. ملامحه غارقة خلف الشعر الأبيض الذى يغزو وجهه فى لحية طويلة، وحاجبين كثين ..

وما زال (حورى) و(محب) فى انتظار أن يبدأهما بالحديث، بعد أن أدخلهما منذ قليل (سن) حارس (لوتس) الأمين، فانحنيا لمعلمهما الأكبر فى إجلال، ثم استكانا لتيار الصمت الذى يغلف الصومعة كالمعتاد ..

ولم يدم انتظارهما إلا قليلاً، فسرعان ما فتح (تحوت) جفنيه المسبلين، ثم أشار إلى ركن نصف مضاء من الصومعة، قائلاً فى صوته الفخيم المميز الذى لايتناسب إطلاقً مع قسماته الطاعنة فى الشيخوخة :

ـ فلتلقِ زهرتا اللوتس بالتحية للسيد (تاوى)، نائب وزير الجنوب ..

ارتسمت أمارات الدهشة البالغة على وجه (محب)، فلم يكن قد انتبه لوجوده قبل أن يشير إليه المعلم الأكبر، بينما لم يش

وجه (حورى) بأية انفعالات محدّدة، وهتف الأول فى لهجة ترحيب :

ـ سيد (تاوى)، قائد عمليتنا السابقة ..

حياهما (تاوى) بإيماءة، بادلاه إياها، ثم عاد الصمت يفرد جناحيه فوق الرءوس، حتى سأل المعلم الأكبر زهرتيه اليانعتين :

ـ كيف كان عملكما معًا ؟!

أجاب (محب) فى اندفاع :

ـ مثمرًا للغاية، معلم (تحوت) ..

ثم نظر إلى (حورى) مضيفًا :

ـ وإن كنت أشك إن كان (حورى) له نفس الرأى !

ـ دعه يتحدث عن نفسه ..

جفل (حورى) لبرهة، ثم ارتدى قناع الرصانة وهو يقول هازًا كتفيه :

ـ لست أنكر أن تعاوننا كان إيجابيًّا، لكنى ما زلت أرى للعمل منفردًا مميزات أكثر ..

انتظر (حورى) سؤالاً من المعلم الأكبر يستفسر عن هذه المميزات، وكان قد أعد عبارات منمقة يسوق خلالها أسبابًا يراها مقنعة للغاية، لكن المعلم (تحوت) لم يسأله، وإنما قال :

ـ من الأفضل أن تعتاد هذا .. فستعملان معًا مرة أخرى .. وربما مرات أخرى كثيرة ..

بصعوبة كتم (محب) ضحكة كادت تفلت على الرغم منه ، بينما دارى (حورى) حرجه بأن ضيق عينيه متظاهرًا بالتركيز ، وعاد الاثنان ينتظران أن يخبرهما المعلم الأكبر بما سيعهد به إليهما ..

أشار المعلم الأكبر (تحوت) إلى (تاوى) فى ركنه النصف مضاء قائلاً :

ـ السيد (تاوى) لديه ما تنتظران سماعه ..

تحولا برأسيهما إليه ، فتنحنح (تاوى) ، ثم قال مؤثرًا الدخول المباشر فى صميم الموضوع :

ـ لعلكما لم تنسيا بعد (باتاو) و (بنتاءور) ..

هزّ (محب) رأسه موافقًا فى قوة وهو يقول :

ـ بالطبع ، قائد الجيش ونائب الوزير ـ باعتبار ما كان !

وغمغم (حورى) وعيناه تضيقان أكثر :

ـ لقد تآمر مع كاهن معبد (آمون) لتدبير انقلاب يستولون فيه على مقاليد الحكم ، ولما قُبِل الكاهن ـ لسوء حظهما ـ دارت حولهما شكوك الشروع فى قتله ، لكننا اكتشفنا براءتهما ، ومع هذا فهما مختفيان تمامًا بعد الحادث ..

تنهد (تاوى) فى عمق ، ثم قال كالشارد :

ـ نعم ، هذا صحيح .. لكنهما قد عاودا الظهور ..

أسرع (محب) يسأله هاتفًا :

ـ عاودا الظهور ؟! أين ؟!

عاد (تاوى) يتنهد ، ثم قال فى إيجاز :

ـ فى النوبة ، بالتحديد عند منطقة الشلال الثانى حيث تنتهى حدود البلاد لتبدأ حدود مملكة (كوش)(*)..

سأل (حورى) عاقدًا ساعديه أمام صدره :

ـ وهل المطلوب منا استعادتهما ؟!

قال (تاوى) نافيًا :

ـ ليس تمامًا ..

ثم استطرد عندما رأى فى وجهيهما علامات عدم الفهم :

(★) (كوش) اسم قديم لبلاد النوبة الواقعة جنوب منحنى كورسكو ، ظهرت أيام الأسرة الثانية عشر ، وصارت فى أيام الدولة الحديثة اسمًا للنوبة الجنوبية كلها .. ويطلق بعض علماء المصريات اسم المملكة الكوشية على الدولة التى ظهرت فى القرن الثامن الميلادى بالسودان ..

لنبدأ القصة من بدايتها الطبيعية ، فأنتما تعلمان أن علاقتنا بقبائل الجنوب جيدة ومستقرة منذ القدم ، حتى إن أرضهم كانت لنا ولقواتنا الجريحة خير ملاذ إبان اجتياح الهكسوس لبلادنا ، وعندما حرّر البطل (أحمس) البلاد من غزوهم الذى دام سنين طويلة ، اكتفى بمد حدودنا الجنوبية حتى منطقة الشلال الثانى ، ولولا نعرة استفزازية تحالف خلالها بعض أمراء (كوش) مع الهكسوس لمعاودة القضاء على البلاد ، لما فكر فى أكثر من هذا ، ولكن الأمر اضطره لأن يدافع عن سيادة البلاد واستقلالها ، فهاجم الجنوب ، وأعلن حاكمًا فى (كوش) يتبع الإدارة المصرية ، وأطلق عليه لقب (نائب الملك فى كوش) ..

أما القبائل النوبية التى تقع فى نطاق السيادة الفرعونية ، فينعم أفرادها بكافة حقوق المواطن كاملة ، حتى إن منطقة الشلال الثانى ـ بالذات ـ يعين لها حاكم نوبى ممن تجمع عليه القبائل جميعها ، ويمارس هذا الحاكم مهامه الوظيفية بإشراف مباشر من وزير الجنوب ..

صمت للحظة ، ولما وجدهما ينصتان باهتمام تابع :

ـ فى الوقت الراهن ، ومنذ ثلاثة أعوام تقريبًا ، يتولى حكم الإقليم أمير نوبى يدعى (كاشتا) ، وهو مقاتل صنديد له طموحات سياسية كبيرة ، ومشهور بقسوته الشديدة ، وقلبه المتحجر ، لا يعرف الرحمة أو المغفرة خاصة مع هؤلاء الذين

يقفون فى طريق تحقيق أغراضه وطموحاته ، حتى إنه يشاع عنه أنه قتل يومًا أخاه إذ نافسه على الإمارة !

هتف (محب) مرتاعًا :

ـ يا إلهى .. إلى هذا الحد ؟! وكيف أصبح هذا الوحش الآدمى حاكمًا ؟!

أجاب (تاوى) :

ـ إنها تقاليد قبلية لا تعترف بغير القوة وسيلة وغاية ، ففى أوقات معلومة من كل عام تقام حلقة نزال ضخمة .. يلتف فيها النبلاء إلى جوار الرعاع حول المتنافسين على الإمارة ، والأبقى هو الأقوى .. هذا هو الشعار المعمول به ..

ثم استطرد عائدًا إلى قصته الأولى :

ـ المهم ـ أننا من خلال تفتيشنا فى متعلقات (باتاو) قائد الجيش الهارب ، عثرنا على رسائل تبادلها مع عدد كبير من أمراء الأقاليم للتخطيط للانقلاب ، واتضح أن الأمير (كاشتا) كان أول المؤيدين ، والحليف الأول فى التدبير له .. وقد تزامن هذا مع تأكيد من قوات الحامية المصرية عند الحدود الجنوبية ، بأن (باتاو) و(بنتاءور) قد شوهدا بالفعل فى النوبة ، وأنهما يقيمان فى قصر (كاشتا) ، كضيفين فوق العادة ..

وهكذا نستطيع أن نتخيل .. بكل بساطة .. أنه بمجرّد أن أيقن

(باتاو) و(بنتاءور) بانكشاف مخططهما ، أسرعا يلوذان بحماية الأمير (كاشتا) ، فى منطقة نفوذه ، وسط القبائل التى اختارته ، والتى تمجد سلطانه ، وتبارك خطاه ..

سأل (محب) فى لحظة من تلك اللحظات النادرة التى يرتدى فيها سمت الجدية :

ـ مادام الأمر قد اتضح على هذه الصورة ، فلماذا لا تتصرفون مع هؤلاء بالطريقة المعتادة ؟! أقصد بإرسال حملة عسكرية لتصفية هذا الوضع المضطرب ؟!

بدا السؤال وجيهًا لـ (تاوى) ، الذى أجاب من فوره :

ـ إننا نعد لهذا بالفعل تحت قيادة الأمير (تحتمس) شخصيًا ، وتحت إشراف قائد جديد لجيوش المملكة ، وسوف تستعد الحملة للتحرك بعد غد صباحًا على الأكثر ..

عبس (حورى) قائلاً :

ـ ما زلت لا أفهم ، ما هو المطلوب منا بالتحديد ؟!

تنهد (تاوى) للمرة الثالثة ، ثم قال فى حزم :

ـ عين (أوزوريس) ..

فى تعجب تساءل (محب) :

ـ هل هى أحجية ؟! أم دعابة ؟!

بنفس الحزم قال (تاوى) :

ـ لا هذا ولا ذاك ، إنها حلية ذهبية سرقها الهاربان من القصر الملكى قبل اختفائهما !

ساد صمت قصير ، قطعه (حورى) قائلاً فى ما يشبه الذهول :

ـ حلية ؟! سنذهب إلى النوبة من أجل حلية ذهبية ؟!

قال (تاوى) مفسرًا :

ـ إنها ذات مكانة خاصة تجعل لاستردادها أهمية قصوى قبل بدء التحرك العسكرى نحو الجنوب ، خشية فقدانها فى خضم المعارك ..

سأل (محب) مستغربًا :

ـ ألا يستطيع فنانو القصر الملكى ـ على حذقهم ومهارتهم ـ صنع بديل لهذه العين ؟!

هزّ (تاوى) رأسه نافيًا ثم قال :

ـ كلا ، فقيمتها الحقيقية فى قِدَمِهَا ، لقد توارثها ملوك طيبة ـ حتى (حتشبسوت) ـ عن الملكة الأم (تتى شرى) ، لذا فمن واجبنا الحفاظ عليها ـ كأثر خالد ـ تعظيمًا منا وتبجيلاً لأجدادنا الأوائل ..

لم يبدُ أنهما قد اقتنعا بحديثه ، فعاد (محب) يسأله فى شك :

ـ أهذا كل شىء ؟!

صمت (تاوى) للحظة ، أظهر فيها شيئًا من التردّد ، حتى قال فى النهاية :

ـ نعم .. هذا كل شىء ..

ومن بين ملابسه ، أخرج (تاوى) حلية ذهبية تمثل عين (أوزوريس) ، لا تتجاوز مساحتها مساحة الكف المفرود ، ولا يتعدّى سمكها السنتيمتر الواحد ، وبمجرّد أن رآها (محب) .. أطلق صفير إعجاب طويلاً ، ثم هتف فى انبهار فنان :

ـ يا للإبداع ! إنها تحفة !

قلب (تاوى) الحلية فى يديه ، قائلاً :

ـ هذه نسخة طبق الأصل من العين المطلوب العودة بها ، صنعها فناتو القصر الملكى فى زمن قياسى ، فلربما احتجت إليها هناك ..

ثم دنا منهما فى صمت ، ووضع نسخة الحلية الشبيهة فى راحة (محب) ، وهو يقول مُكسبًا نبرته عمقًا وأهمية :

ـ تذكرا .. مهمتكما هى محاولة العودة بعين (أوزوريس) السليبة بأى وسيلة ، وأى ثمن ..

سرت رعدة فى جسد (محب) وهو يتأمل العين المستقرة فى كفه ، بينما التفت (حورى) إلى المعلم الأكبر (تحوت) ، الذى تحدث أخيرًا فقال :

ـ لتستعدّا ، فبعد قليل ستكونان على متن قارب يحملك إلى منطقة الشلال الثانى ، وهناك سيقابلكما كبير ضباط الحامية المصرية (حتب) ، وسيوفر لكما كل ما تحتاجون إليه ، وملأ عينيه بمرآهما ، ثم تابع ضاغطًا على حروف كلماته :

ـ سوف تصلان صباح الغد ، وسيكون أمامكما يوم واحد فقط لأداء المهمة .. بنجاح !

شعر (حورى) بقلبه ينبض فى عنف .. بينما تابع المعلم الأكبر كأنه يشير لأمر غير ذى أهمية :

ـ وستقابلان هناك رفيق مهمتكما الثالث ..

رفع (محب) حاجبيه هاتفًا فى حبور :

ـ تقصد رفيقتنا الثالثة ؟!

بينما ضغط (حورى) على أسنانه مغمغمًا فى غيظ :

ـ لا ، ليس هذه المرّة ..

لم يسمع المعلم الأكبر ما قاله (حورى) ، لكنه لاحظ الاعتراض اللائح على وجهه ، فقال :

ـ ليكن تعاونكم مثمرًا فى هذه المرّة أيضًا ، كما كان ، وكما يجب أن يكون ..

ولم يكن هناك مجال لكلمة واحدة زائدة ، بعد لهجة المعلم الأكبر الفاصلة ..

* * *

أخذ (حورى) يحدق فى تلك الخريطة المفرودة فوق طاولة خشبية ، فى قاعة من قاعات قلعة الحامية المصرية عند منطقة الشلال الثانى ، وبدا غارقًا فى دراستها حتى أذنيه ، بينما انشغل (محب) بتفحص الجدران والأعمدة مظهرًا انفعالاً على وجهه يشى بالامتعاض ، حتى قال متأففًا :

ـ يا للبشاعة ، هذا المكان يفتقر إلى أبسط لمسات الجمال !

ظل (حورى) محدقًا فى الخريطة أمامه ، وقال وعلى طرف شفتيه تولد بسمة جانبية ساخرة :

ـ يكفيه فخرًا أن يضم بين جدرانه أعتى مظاهر القوة !

مطّ (محب) شفتيه فى خيبة أمل ، ثم قال :

ـ كنت أتوقع منك قولاً كهذا ..

وأدار دفة الحديث لأمر كان يشغل ذهنه طوال رحلتهما للنوبة ..

ـ ولكن أخبرنى ، هل تصدق أمر الحلية الذهبية المتوارثة هذه ؟!

هزّ (حورى) كتفيه مجيبًا فى غير اكتراث :

ـ يجب أن أصدقه ..

قال (محب) وهو يهرش شعيرات لحيته مفكرًا :

ـ لكن عقلى يأبى أن يمنحنى ترف التصديق، هل من اليسير أن أتخيل أن يلقوا بنا وسط أحراش النوبة حيث القبائل التى تمقت الغرباء ، والوحوش الضارية التى لا تتفاهم بالهيروغليفية ، والتماسيح الشرسة التى تصيد الإنسان قبل أن يصيدها ، من أجل حلية ذهبية قديمة ، حتى لو كان صانعها هو (مينا) نفسه ؟!

لم يجبه (حورى) ، وظل غارقًا فى استقراء الخريطة ، فمط (محب) شفتيه من جديد ، واتجه إلى النافذة يراقب من خلالها انعكاس أشعة شمس الجنوب المحرقة على صفحة النيل المتدفق ، وملأ صدره من هواء الربيع متمتمًا :

ـ النوبة .. سحر الأرض السمراء ..

ـ معذرة ، لكن زميلة لكم قد وصلت على الفور ..

التفتا إلى مصدر الصوت ، كان الضابط (حتب) بمنكبيه العريضين ووجهه المربع وقامته الممشوقة يقف أمام مدخل القاعة ، فأشار له (حورى) قائلاً :

ـ اسمح لها بالدخول ..

وقبل أن يستدير (حتب) خارجًا ، كانت (نفرو) قد أصبحت بمحاذاته هاتفة فى جذل :

ـ ومن ينتظر الإذن حتى يدخل ؟!

البشرة القمحية ، العينان السوداوان ، الشفتان المكتنزتان ، الشعر المنسدل على الظهر كشلالات الليل الطويل ، الملامح المصرية الصميمة ..

تألق البشر على وجه (محب) وهو يهتف مأخوذًا :

ـ ربّاه .. إنك تزدادين جمالاً !

قالت فى خفر والوجنتان تأخذان لونًا ورديًا خفيفًا :

ـ أشكر لطفك ..

ظلت ملامح (حورى) صارمة جامدة كما هى ، ولم يُعرْ (نفرو) أدنى التفات ، بينما ضربت هى كفيها ببعضهما هاتفة فى سعادة واضحة :

ـ ها نحن أولاء نلتقى مرة أخرى ..

قال (محب) بابتسامة صافية :

ـ هذا من حسن حظنا بالقطع ..

غمغم (حورى) محاولاً أن يبدو وقحًا :

ـ تحدث عن نفسك ..

ارتفع حاجبا (نفرو) الرفيعين فى دهشة وهى تسأله :

ـ أما زلت رافضًا لفكرة تعاونك مع امرأة ؟!

أجابها فى اقتضاب :

ـ نوعًا ما ..

ثم هزّ كتفيه قائلاً :

ـ ولكنها الأوامر ، ولا مفر من طاعتها ، والآن فلننح هذه الترهات جانبًا ، فأمامنا الكثير لنفعله فى وقت ضيق للغاية .. وأعتقد أنك على علم بتفاصيل المهمة ..

استعارت لهجته المقتضبة قائلة :

ـ نوعًا ما !

ـ نوعًا ما !

ابتسم (محب) لدعابتها ، بينما تظاهر (حورى) بأنه لم يسمعها ، وأشار إلى الخريطة المفرودة على الطاولة أمامه ، وقال مستطردًا :

ـ لنستعرض ما لدينا هاهنا ، هذه خريطة توضيحية لموقع قصر الأمير (كاشتا) ، حيث يقيم (باتاو) و(بنتاءور) وبحوزتهما العين التى نبحث عنها ، وكما نرى ، فقد حفر أتباع الأمير قناة عريضة إلى الشرق من مجرى النيل الرئيسى ، تتجمع مياهها فى النهاية عند بحيرة متسعة تقل سرعة جريان الماء فيها

ابتسم (محب) لدعابتها ، بينما تظاهر (حورى) بأنه لم يسمعها ، وأشار إلى الخريطة المفردة على الطاولة أمامه ..

حتى تكاد تماثل مستنقعات الدلتا الشمالية بمياهها الراكدة وأحراشها الكثيفة ، وقد أقام (كاشتا) قصره فوق جزيرة من الأحجار وسط هذه البحيرة ..

تساءل (محب) متعجبًا :

ـ قصر وسط المياه ؟!

أومأ (حورى) برأسه إيجابًا ، ثم تابع :

ـ وإلى جوار المياه والأحراش ، فالقصر محاط بقطعان من التماسيح النيلية ، التى يفرطون فى تدليلها بإلقاء غذاء يومى لها لا يقل عن الأربعين فريسة برية ، وفى بعض الأحيان بشرية ، كنوع من العقاب القاسى للخارجين على النظام ، وليس هذا كل شىء ، فالحرس الأشداء يحومون حول الجزيرة على متن مراكب البردى ، ويطوقونها كسور منيع من الجهات الأربع ، بمعدل ثلاث مراكب عند كل جهة ، على كل مركب منها جنديان ، ولا تتغير دوريات الحراسة إلا مرتين يوميًا عند منتصف الليل ومنتصف الظهيرة ..

غمغمت (نفرو) مبهورة :

ـ قلعة منيعة حقًا !

قال (حورى) بهدوء :

ـ ليس إلى هذا الحد ..

سأله (محب) مستنكرًا :

ـ هل تريد أن تخبرنا بأنك تستطيع اختراقها دون أن يشعر بك أحد ؟!

فى استهانة أجاب (حورى) :

ـ ولِمَ لا ؟! المستحيل هو حيلة العاجز ..

سألته (نفرو) فى لهفة :

ـ هل لديك خطة محددة ؟!

أجاب فى جدية :

ـ نعم ، وستشاركانى فيها طبقًا للأوامر .. ولكن حذار ، فأى خطأ بسيط قد يكلفنا ثمنًا باهظًا للغاية ..

وأضاف محاولاً إضفاء ما يوحى بالخطر على رنين كلماته :

ـ وربما يكون هذا الثمن ، حياتنا نفسها ..

ثم انطلق يشرح لهما خطته ، وهما ينصتان فى اهتمام ..

لا يخلو أبدًا من الإعجاب !

★ ★ ★

٢ ـ قـوة ..

ـ لقد أوقدنا المشاعل حول القصر ، سمو الأمير (كاشتا) ..

ـ هذا حسن يا (شث) ، فالشمس قد غربت بالفعل ..

انحنى (شث) فى إجلال سائلاً :

ـ هل من أوامر أخرى سمو الأمير ؟!

أشار له الأمير بالنفى ، فسارع بمغادرة القاعة ، فى خطوات أشبه بالهرولة ..

★ ★ ★

إذا لم تكن قد رأيت الأمير (كاشتا) ، فأنت لم تر بعد إنسانًا يستحق أن يوصف بالعملقة .. ضخم الجثة إلى حد مخيف ، فاحم الشعر والعينين والبشرة إلى حد مخيف ، ممتلئ الشفتين أفطس الأنف كث الحاجبين إلى حد مخيف ..

ولو أضفنا إلى هذه الملامح صوتًا خشنًا غليظًا ، ورمحًا مميزًا ذا قناة سميكة مزركشة ، لاكتملت صورة المقاتل النوبى الذى يحكم منطقته بالحديد والنار والقوة ..

★ ★ ★

التفت (كاشتا) إلى ذلك الكهل الجالس القرفصاء على

الأرض أمامه ، فاردًا ملاءة رثة متسخة تحمل فوقها أشكالاً عجيبة ومجسمات أقرب إلى السيريالية .. فى عصرنا الحاضر - وإلى جواره مبخرته التى تفوح بدخانها العطر ، وهتف فى ضجر :

- وبعد أيها الساحر (كيكى) ؟! لا أظنك ستجلس هكذا إلى الأبد ..

(كيكى) ما هو إلا بقايا بشرية ، تجاوز المائة عام بعقد على الأقل ، أسمر البشرة ، أبيض شعر الرأس واللحية ، ملامحه غائرة عبر التجاعيد التى حفرها إزميل الدهر فى وجهه ، ويبدو أنه أبى أن يتركه دون أن يأتى على أسنانه فلا يبقى منها إلا واحدة أو اثنتين على الأكثر ..

هتف (كيكى) بصوت أشبه بالفحيح :

- الصبر كنز الطالبين ، يا مولاى ..

تململ (كاشتا) فى جلسته وهو يقول :

- لقد بدأ صبرى ينفد ، ألم تخبرك ألعابك هذه بشىء بعد ؟!

عيناه فقط كانتا تشعان ببريق الحياة .. تتدفقان بحيوية شاب فى ربيع العمر .. عيناه هما مصدر إلهامه وتأثيره .. رفعهما ناظرًا إلى الأمير (كاشتا) ، ثم هتف بصوته الضعيف الواهى :

- أخبرتنى بالكثير ..

قال (كاشتا) وقد بدأ الاهتمام يتملكه :

- هات ما عندك ..

خفت البريق المشع فى عين (كيكى) قليلاً ، وهو يقول :

- امنحنى الأمان أولاً ..

- هو لك ..

- لتقسم على هذا ..

هتف به (كاشتا) ، وقد بلغت الإثارة فى أعماقه ذروتها :

- أقسم لك بشرف المقاتل ..

عاد الضوء يسطع فى مقلتى (كيكى) إثر شعوره بالطمأنينة ، وأخذت أصابعه النحيلة تعبث بالمجسمات الصماء المنثورة فوق الملاءة أمامه ، وهو يهتف وصوته يزداد قبحًا ولزوجة :

- أرى النجمات تهوى ، وزجاج القمر الفضى يتحطم ، والغيوم الداكنة تتجمع كجيش عرمرم فى كبد سماء مظلمة ..

أرى النيران تصبح مسوخًا من لهب ، ترقص رقصة الموت الأخيرة حول عين من ذهب ، والغربان تنعق فى انتشاء ..

أرى مقاتلاً متسربلاً بجلده الأسود ، تتعثر قدمه عند المنحدر ، فيهوى دون صراخ إلى قاع سحيقة .. سحيقة ..

وبين فكى المعبود (سوبك)(*)، ترسم النهاية نفسها ..

مجد زائل .. وسؤدد يتلاشى ..

اربدّ وجه (كاشتا) وهو يستمع إلى (كيكى) ، حتى شابه وجه شيطان زنيم ، ثم صاح بصوت يشبه هزيم الرعد ـ مناديًا :

ـ (شث) .. أين أنت أيها اللعين ؟!

اندفع (شث) إلى القاعدة ركضًا وهو يتساءل لاهثًا :

ـ ما الأمر يا مولاى ؟!

كاد (كاشتا) يأمر بإعدام الساحر ، لكنه تذكّر وعده بالأمان وقسمه بشرفه كمقاتل ، فهتف فى ثورة عارمة :

ـ أخرجوا هذا الساحر المعتوه من هنا قبل أن أفتك به ..

ـ سمعًا وطاعة يا سمو الأمير ..

وسارع جنديان بحمل الساحر (كيكى) ومتعلقاته ، بينما كان هذا الأخير يبتسم بسمة صفراء دون أن ينطق بحرف ، مما زاد من غليان (كاشتا) بالإضافة إلى عجزه عن فعل أى شىء ..

ـ ما الذى ضايق سمو الأمير منه إلى هذا الحد ؟!

(★) سوبك : اسم لمعبود مصرى اتخذ من التمساح هيئة ، اشتهر فى الدولة الوسطى ، كان رب مدينة التماسيح بالفيوم وكل الجهات المحيطة ببركة قارون .

كانت أنفاس (كاشتا) تزداد عمقًا وحدة فيما شفّ عن بركان فى أعماقه يستعد للانفجار ، فآثر (شث) الصمت منتظرًا ما سيتمخض عنه الموقف ..

ـ (شث) ..

نطق بها وما زال صدره يعلو ويهبط فى غضب مكبوت ..

ـ ما الأمر يا مولاى ؟!

ـ إلى بالكاتب فى الحال ..

متعجبًا تساءل (شث) :

ـ ولِمَ لا يا مولاى ؟!

قال (كاشتا) وصوته يزداد خشونة :

ـ سيكتب باسمى رسالة عاجلة إلى القصر الملكى بطيبة ..

لم يفهم (شث) ما يرمى إليه مليكه ، لكنه استعد للتنفيذ ، حتى أوقفه (كاشتا) قائلاً وعيناه تغوصان فى بركة دموية حمراء :

ـ ولتكونوا على أهبة الاستعداد ، فالحرب قد أصبحت قريبة للغاية ..

وكان على حق ..

★ ★ ★

الأحراش الكثيفة ..

قارب البردى يشق طريقه فى مياه البحيرة الراكدة ..

(نفرو) جالسة بلا حراك على طرف القارب ، و (حورى) و (محب) يجدفان بعمودين من الخشب ، ورويدًا رويدًا ، يظهر القصر المنيف ذو الطابق الواحد على قمة جزيرة الأحجار الضخمة ، والمشاعل على جدرانه تحيل الظلام الدامس من حوله نهارًا مضيئًا ، مما يجعل التسلل إلى مكان كهذا ضرب من ضروب المستحيل ..

توقف (حورى) عن التجديف ، وأمسك بذراع (محب) قائلاً فى صوت خفيض :

ـ هذا أقصى حد نستطيع الاقتراب إليه دون أن تكشف دوريات الحراسة أمرنا ..

توقف (محب) بدوره ، ونظر إلى (حورى) سائلاً :

ـ سنستعد للغوص إذن ..

أجابه (حورى) بطريقة عملية ، فشرع يتخفف من ملابسه قدر الإمكان ، ونحا (محب) نحوه ، بينما أعطتهما (نفرو) ظهرها ووجهت أنظارها إلى المياه الراكدة ، وخطر لها خاطر فسألت :

ـ هل تقترب التماسيح من هنا ؟!

أجابها (حورى) فى سرعة وهو يواصل عمله :

ـ بالطبع ..

شعرت بفزع مفاجئ ، فقال (محب) ضاحكًا :

ـ لكنى لا أعتقد أنها تؤذى الفتيات الجميلات !

سألته وهى تحاول استجلاء ما تخفيه الأحراش عن عينيها :

ـ ومن أدراك ؟!

ضحك ضحكة خافتة أخرى ، ثم شرع يدندن همسًا لحنًا شعبيًا فرعونيًا شهيرًا ..

(على الضفة الأخرى ، تقف الحبيبة

تفصل بيننا مياه النهر

والتمساح رابض فيها ، مستعد لالتهامى

لكنى أهبط راتيًا إليها

فأجد المياه قد استحالت تحت قدمى يابسًا

يا لحبها ، سر حياتى ، وقوتى

حتى إنه وقانى شر التمساح اللعين)

انتهى (حورى) من خلع ملابسه ، ووقف يأخذ أنفاسًا عميقة منتظمة ، وكذلك فعل (محب) ، وبعد لحظات ، استدار (حورى) يقول لـ (محب) محذرًا :

ـ لا تنس يا (محب) ، نجاحى فى الدخول إلى القصر يعتمد عليك فى المقام الأول ..

رفع (محب) أمام عينيه قارورة ذات قاعدة متسعة ، يقارب حجمها قبضة اليد المضمومة ، وقال :

ـ لا تقلق ، سأفعلها فى الوقت المناسب ..

وأشار إلى خيط رفيع يحيط بعنق القارورة ويلتف باقيه حول معصمه مستطردًا :

ـ سأدعها تطفو فوق الماء ، ثم ابتعد لمسافة كافية ، وعندها أجذب هذا الخيط ، فيمتزج السائل بالماء ، ثم .....

ولم يتم عبارته ، إذ وجد (حورى) يربت على كتفه ، قائلاً بمشاعر لم يعهدها فيه من قبل :

ـ لتأخذ الحذر ، حتى تعود سليمًا .

بهت (محب) للحظة ، ثم تهللت أساريره وهو يقول :

ـ لا تخش علىَ شيئًا ، ولتأخذ أنت الحذر ، فمهمتك أصعب من مهمتى بمراحل ..

قطعت (نفرو) حبل التواصل الإنسانى الذى امتد بينهما بقولها محتجة :

ـ ولماذا يتعين علىَ أن أنتظركما هنا حتى تعودا ؟!

قال (محب) هازلاً :

ـ تستطيعين الانتظار فى أى مكان آخر إذا أحببت !

لم يبتسما لدعابته ، وقال (حورى) مستعيدًا جديته التى لا تتغير :

ـ ستحمين ظهرينا .. وليس هذا بيسير ..

قال (محب) وكأنه تذكَر شيئًا مهمًا :

ـ هل العين الأخرى معك ؟!

أشار (حورى) إلى جراب مربوط بخصره قائلاً :

ـ نعم .. وإن كنت أعتقد ألا ضرورة لها ..

قالت (نفرو) دون أن تنظر إليهما :

ـ ربما تضطر إلى تبديل العين الأصلية بها ..

لم يأتها ردَ هذه المرة ، فالتفتت نحوهما ببطء .. لكنها لم تجد لهما أثرًا فوق متن القارب ، وعندما اشرأبت بعنقها قليلاً ، رأت مياه البحيرة الراكدة على الجانب الآخر من القارب قد تحولت إلى أمواج متداخلة ..

كان هذا يعنى أنهما قد غاصا بالفعل فى مياه البحيرة .. دون أن تشعر !

ويعنى أيضًا أن المهمة قد بدأت فعليًا ..

★ ★ ★

ـ ماذا تقول ؟!

هتف (بنتاءور) ـ نائب وزير الجنوب الهارب وهو يهب من فوق مقعده لتظهر قامته القصيرة بوضوح ، بينما انعقد حاجبا (باتاو) .. قائد الجيش الملكى السابق الجالس إلى جواره ، وتساءل هو الآخر ولكن بلهجة أقل حدة وذهولاً :

ـ أرسلت ماذا ؟!

لم يعبأ (كاشتا) الجالس على عرشه الوثير برد فعلهما المتشابه المعترض ، فقال فى هدوء وثبات لا يتمتع بهما إلا من هو فى موقع قوة :

ـ ليكن ، سوف أعيد عليكما ما قلته من فورى ..

ثم استطرد بعد أن اعتدل فى جلسته :

ـ لقد أرسلت من فورى برسالة للقصر الملكى فى طيبة عن طريق الحمام الزاجل ، تحمل سطورها إنذارًا واضحًا شديد اللهجة ، إما أن تتنازل (حتشبسوت) ـ باعتبارها ما زالت الملكة ـ عن العرش الفرعونى لى ، أو تدق النوبة طبول الحرب ضد طيبة ، وأمهلتهم يومًا واحدًا فقط للرد ..

فقد (باتاو) أعصابه دفعة واحدة ، فنهض صارخًا :

ـ لماذا يا (كاشتا) ؟! لماذا ؟!

اكتسب صوت (كاشتا) نبرة فخر واعتداد وهو يقول مداعبًا قناة رمحه :

ـ لأننى الأقوى يا (باتاو) .. والأبقى هو الأقوى فى عرف قبائلنا النوبية .. أما ملكتكم الشمطاء (حتشبسوت) وأميرها المدلل (تحتمس) فلا يزدادان إلا ضعفًا وخورًا ، والبلاد ـ على اتساع رقعتها ـ تتفكك وتزداد أقاليمها انفصالاً وتقوقعًا يومًا عن يوم ..

وهوى بقاعدة الرمح السفلية على الأرض ، وهو يضيف منفعلاً :

ـ لن تُجْمَع كلمة البلاد مرة أخرى إلا على يد قائد قوى ، لينهض بها من كبوتها ويحكمها بسن الرمح .. قائد مثلى أنا ..

وأضاف فى زهو كأنه يحلم :

ـ الملك المنتصر دومًا (كاشتا) العظيم ..

هتف (باتاو) فى حنق :

ـ نحن لم نتفق على هذا يا (كاشتا) ..

أفاق (كاشتا) من خيالاته ، ثم قال فى ازدراء :

ـ لم نبرم فيما بيننا أى اتفاقات ..

قال (بنتاءور) محاولاً استخدام حنكته كسياسى أريب :

ـ السيد (باتاو) يقصد أننا شركاء فى هذا الأمر .. لذا فقد كان الأحرى بك أن تخبرنا وتستشيرنا فى أمر كهذا قبل الإقدام عليه ..

قال (كاشتا) فى تعال :

ـ أنا صاحب القرار هنا ..

رأى (بنتاءور) أن يستخدم لباقته السياسية معه حتى نهاية المطاف ، فقال :

ـ لكنك بهذا تفقد عاملاً من أهم عوامل النجاح فى أى حرب .. ألا وهو عامل المفاجأة !

ضحك (كاشتا) فى سخرية كاشفًا عن أسنانه البيضاء ، ثم قال :

ـ أى عامل مفاجأة ؟! لقد فقدنا هذا العامل بالفعل منذ فراركما من طيبة كفأرين مذعورين !

انهالت الإهانة كالصفعة على وجه (باتاو) ، وزلزلت كبرياءه كقائد جيش قديم ، فصاح بـ (كاشتا) كالمجنون :

ـ اخرس أيها النوبى اللعين !

ران على القاعة صمت لحظى، سرعان ما بدده صوت رمح (كاشتا) وهو يرتطم بالأرض إذ ألقاه (كاشتا) بعيدًا وهو ينهض من فوق العرش متجهًا نحو (باتاو) فى خطى بطيئة متثاقلة ، بينما تمتم (بنتاءور) بصوت غير مسموع :

ـ يا لك من أحمق !

تراجع (باتاو) وقد أحس بضآلته الحقيقية مع اقتراب

(كاشتا) منه كمارد عملاق ، وظل يتراجع حتى أوقفه الجدار وهو يلتصق بظهره ، بينما (كاشتا) يقترب منه ، ويقترب ، ويقترب ، حتى أصبح فى مواجهته مباشرة ..

وفجأة ، مد (كاشتا) كفيه الضخمتين لتحيطا عنق (باتاو) ، وتضغطا عليه بعنف ، بل وترفعا (باتاو) لأعلى ـ كطفل صغير ـ وأخذ يقصف بكلماته والشر المستطير ينبعث شررًا من عينيه الدمويتين :

ـ إذا سمعتك تنادينى مرة أخرى بلقب غير جلالة الملك المنتصر دومًا (كاشتا) ، فسأقطع لسانك من جذوره ، وألقيه لأحد تماسيحى الصغيرة ..

ازدرد (بنتاءور) ريقه ، وارتعدت فرائصه وهو يحدق فى التمساح المحنط المعلق على الجدار غير بعيد من موقعهما ، ثم وهو ينقل بصره ليرى (باتاو) ينتفض ، ويجاهد لإبعاد الكلابة المعدنية التى تحيط بعنقه عائقة وصول الهواء إلى رئتيه ، ثم (كاشتا) وهو يسأل فى قسوة لا متناهية :

ـ هل هذا مفهوم ؟!

ازرقّ وجه (باتاو) وحاكى وجوه المومياوات المفزعة ، وبدأ يصدر حشرجة غير ذات معنى ، بينما هبط قلب (بنتاءور) فى قدميه خوفًا من أن تكون هذه هى نهاية (باتاو) الفعلية ، ويا لها من نهاية بشعة يقف حيالها عاجزًا عن الفعل !

وفجأة ، حدث الانفجار ..

كان صوتـه واضحًا مسموعًا يتناهى من الجانب الغربى ، خارج القصر !

أفلت (كاشتا) ، عنق (باتاو) فتهاوى على الأرض وهو يعب فى صدره من هواء القاعة ، بينما سارع (كاشتا) يتوجه نحو النافذة الغربية لاستبيان حقيقة هذا الصوت ..

رأى من بعيد أبخرة ذات ألوان عجيبة ، يتحلق حولها حرسه على متن قواربهم المصنوعة من البردى .. فعقد حاجبيه وهو يتساءل مغمغمًا :

ـ ترى .. ما الأمر ؟!

وقبل أن يفرغ من إلقاء السؤال على نفسه ، اقتحم (شث) القاعة هاتفًا فى جزع :

ـ سمو الأمير (كاشتا) ..

عقد (كاشتا) حاجبيه وهو يسأل فى صرامة :

ـ ما الذى يحدث فى الغرب يا (شث) ؟!

أجاب (شث) متوترًا :

ـ لا أدرى يا مولاى ، لا أحد يدرى ، لقد سمعنا الصوت وشاهدنا الألوان العجيبة التى بعثها الانفجار .. لكننا لا نفهم شيئًا !

هتف (كاشتا) ساخطًا :

ـ أغبياء .. سأتولى الأمر بنفسى ..

والتفت إلى (باتاو) و (بنتاءور) قائلاً :

ـ وسأعود لكما لنصفى ما بيننا لاحقًا !

واندفع يغادر القاعة و (شث) فـى إثـره ، كـانت أنفـاس (باتاو) قد انتظمت نوعًا ، فهتف بصعوبة ـ لا ينقصها الحنق ـ وهو يتحسس رقبته بكفه :

ـ تبًا لك !

قال (بنتاءور) فى استياء :

ـ ما كان يجب أن تتصرف بهذه الرعونة !

نهض (باتاو) وهو يعتصر قبضته قائلاً فى غيظ :

ـ هذا الهمجى المتعجرف يضرب بكل خططنا عرض الحائط ..

هرش (بنتاءور) رأسه الأصلع قائلاً فى ندم :

ـ كان خطؤنا منذ البداية أن نلجأ لحمايته هو بالذات ..

قال (باتاو) مشيرًا إليه بسبابته :

ـ كانت فكرتك المأفونة !

قال (بنتاءور) مدافعًا عن نفسه :

ـ ظننت أنه سيحمينا بقوته ..

ساخرًا قال (باتاو) :

ـ وها هو ذا يقلب المائدة فوق رءوسنا ، ولا يكتفى بالتصرف بمفرده ، بل ويعاملنا كعبيد لديه !

صمت (بنتاءور) للحظة بدا أنه يفكر فيها بعمق ، ثم ضرب قبضته فى راحته وهو يهتف :

ـ حقًا .. هذا هو الحل ..

هتف به (باتاو) منزعجًا :

ـ أى حل تقصد ؟! لا أفهم ..

اقترب منه (بنتاءور) ، وقال فى همس :

ـ دعه يفعل ما يحلو له .. فليحارب إن أراد هذا .. فإن خسر فهى خسارته وحده .. وإن كسب تئول لنا نحن الغنائم ..

لم يفهم (باتاو) ما يرمى إليه صاحبه ، فتابع (بنتاءور) فى دهاء :

ـ نستطيع فى النهاية أن نقلب المائدة فوق رأسه .. لا تنس أن لدينا نقطة تفوق رهيبة ..

بدأ (باتاو) يفهم مقصده ، فابتسم قائلاً :

ـ أنت داهية يا صديقى ..

أشكرك على هذا المديح !

ضربه (باتاو) بقبضته فى كتفه ، ثم قال منشرحًا :

ـ أتعشم فقط أن تكون قد خبأت العين فى مكان أمين ..

ـ رائع .. إنكما تختصران علىَّ مسافة كبيرة ..

هزهما وجود ثالث لا يشعران به معهما فى القاعة ، فالتفتا من فورهما نحو مصدر الصوت ، كان (حورى) يقف أمام مدخل القاعة فى لباس أحد جنود (كاشتا) عاقدًا ساعديه أمام صدره ، يتابع فى قوة :

ـ أحتاج إلى هذه العين التى كنتما تتحدثان بشأنها ..

هتف (بنتاءور) فى رعب :

ـ أنت لست جنديًا نوبيًا ..

وسأله (باتاو) متفرسًا فى ملابسه :

ـ أنت من طيبة .. أليس كذلك ؟!

قال (حورى) فى هدوء :

ـ بلى .. وأنوى العودة إليها حاملاً العين الذهبية المسروقة ..

ثم ابتسم ابتسامة مستفزة وهو يضيف :

ـ وربما أنتما أيضًا معها ..

هزَّ (باتاو) كتفيه وقال وهو يقترب منه فى هدوء :

ـ أتعلم ؟! إننى لا أظن هذا مطلقًا ..

وقف غير بعيد منه ، ثم أضاف وهو يحدق فيه بنفس الهدوء :

ـ لأننى أظن أنك لن تعود أصلاً !

واستل خنجرًا من بين ثيابه ، واندفع يسدده نحو (حورى) ، الذى انحنى فى لمح البصر مستقبلاً إياه على ظهره ، ليقلبه فى

واستل خنجراً من بين ثيابه ، واندفع يسدُده نحو (حورى) ، الذى انحنى فى لمح البصر مستقبلاً إياه على ظهره ..

حركة بهلوانية ويلقيه لمسافة ثلاثة أمتار إلى الخلف ، فيرتطم بالحائط ويهوى متكومًا دون حراك ، نفض (حورى) كفيه فى حركة تمثيلية واستدار نحو (بنتاءور) الذى هتف فى ضراعة والرعب يتملكه أكثر وأكثر :

ـ أرجوك لا تؤذنى .. ماذا تريد ؟! ماذا تريد ؟!

عبس (حورى) ، ثم قال :

ـ ألم أخبرك ؟! عذرًا .. يبدو أن ذاكرتى قد أصبحت ضعيفة للغاية هذه الأيام ..

واقترب منه وهو يخرج من بين ملابسه نسخة العين الشبيهة ، وأشار إليه بيده الأخرى قائلاً :

ـ كنت أبحث عن عين ذهبية تشبه هذه العين .. فهل أجد لديك ما أريد ؟!

بلغ الهلع مبلغه من (بنتاءور) الذى هتف :

ـ حسن .. حسن .. سـ .. سأخبرك .. ولكن لا تؤذنى ..

قال (حورى) فى صرامة :

ـ هيا يا رجل .. فالوقت ضيق ..

خرّ (بنتاءور) على ركبتيه ، وهو يهتف :

ـ إنها ليست هنا .. سأخبرك عن مكانها .. ولكن ارحمنى فأنا كهل لا قوة لى ولا حيلة ..

شيئًا ما لاحظه (حورى) فى لهجة (بنتاءور) ..

شىء لم يعجبه .. وأثار الريبة فى صدره ..

وهنا ، تناهى إلى مسامعه صوت خافت من خلفه ..

لكنه تأخر فى الالتفات ثانية واحدة ..

ثانية كانت كافية تمامًا ليلتف ساعد (باتاو) حول رقبته ، ويشعر بنصل خنجره الحاد يلامس جلده ، وليرى بسمة شامتة ترتسم فوق شفتى (بنتاءور) الذى نهض نافضًا كفيه قائلاً فى تحقير :

ـ لم أكن أعلم أنهم يستهينون بنا فى طيبة إلى هذا الحد !

ثم أتاه من خلفه صوت (باتاو) الفائر بالغضب والسخط يقول :

ـ معذرة يا صغيرى ، ولتتعلم ألا تلهو أبدًا بعد ذلك مع قائد لجيش البلاد ..

وزاد من ضغط الخنجر على رقبته مضيفًا :

ـ هذا لو أن لديك ما يمكن أن نسميه (بعد ذلك) !

وانقلبت المائدة على رأس (حورى) ..

وغزا نفسه شعور بالهزيمة ..

ذلك الشعور الذى يمقته ، كالجحيم ..

★ ★ ★

٣ ـ خدعة ..

هتف الجندى الأسود مشيرًا إلى نقطة ما وسط الأحراش ، تنبعث منها بقايا أبخرة صفراء وزرقاء وأرجوانية الألوان :

ـ فوجئنا بالمياه تنفجر فى وجوهنا من هنا يا سمو الأمير ، ثم تصاعد هذا الدخان الملون ، لكننا لم نعثر على أى شىء سوى هذا الخيط الطويل ، وقطع زجاجية مهشمة متناهية الصغر ..

انعقد حاجبا (كاشتا) الواقف فى قاربه الخشبى الطويل ، المزدانة حوافه بنقوش وزخارف متداخلة فاقعة الألوان ، والمنحوت على مقدمته رأس تمساح مخيف ، شاعرًا بأن فى الأمر ما يستدعى ما هو أكثر من مجرّد الريبة ، بينما لم يجد مساعده ويده اليمنى (شث) ما يقوله سوى عبارة سخيفة من نوع :

ـ يبدو الأمر مثيرًا للشك !

لم يلتفت (كاشتا) لعبارته ، وغمغم كالسائل نفسه :

ـ ترى ، من أحدث انفجارًا كهذا ؟! وكيف ؟! ولماذا ؟!

صدمه السؤال الأخير، فرفع ناظريه نحو نافذة القصر الغربية ، والشكوك فى أعماقه تنمو كشجرة جافة بلا أوراق .. بينما هزّ (شث) كتفيه وقال محاولاً التظاهر بالذكاء :

ـ ربما هى محض عملية إرهابية قصد بها أبناء قبيلة (كادوش) زعزعة الأمن فقط ..

ضيق (كاشتا) حدقتيه ، برغم ضيقهما الطبيعى ، فكادتا تختفيان وسط سواد وجهه .. وغمغم مفكرًا :

ـ كلا .. يبدو الأمر أخطر من ذلك بكثير ..

هزّ (شث) كتفيه مرة أخرى ، وقال يعرض احتمالاً جديدًا :

ـ ربما ..

قاطعه (كاشتا) مخاطبًا الجندى الأسود الواقف أمامهما على قاربه ، يفصل بينهما حوالى المتر :

ـ هل ترك كل الجنود مواقع حراستهم عند الجهات الأربع ؟!

اضطرب الجندى وقد أدرك مغزى سؤال (كاشتا) ، لكنه أمسك بلجام أعصابه وقال دون أن يتلعثم :

ـ لقد ظننا أن فى الأمر ما يستدعى ذلك يا سمو الأمير !

هتف (كاشتا) فى غضب مستعر :

ـ أغبياء ..

ثم التفت قائلاً لـ (شث) يأمره :

ـ لنعد إلى القصر فورًا ..

أشار (شث) من فوره للجنديين اللذين يحملان المجدافين بالتحرك ، بينما التفت (كاشتا) نحو الجندى الأسود مرة أخرى قائلاً فى حدة :

ـ ليبق قاربان هنا فقط للحراسة ، وليذهب الباقون للبحث عن أى غرباء فى دائرة واسعة تجاوز المئة ذراع حول القصر ..

سارع الجندى يحمل الأوامر إلى باقى الجنود لتدخل فى حيز التنفيذ ، بينما اتجه قارب (كاشتا) نحو الشرق حيث بوابة القصر العالية ..

كانت أسراب من النحل تطن فى رأس (كاشتا) ..

وحمم القلق والتوتر والحيرة تكوى أعماقه ..

وخوفه الأبدى من أن تهتز صورته ـ كإله للقوة ـ أمام جنوده وأتباعه يسيطر عليه ..

وسرعان ما انتشله من دوامات مشاعره السوداء هتاف (شث) :

ـ يا للسماء .. ماذا حدث هنا ؟!

كان القارب قد أصبح مواجهًا لبوابة القصر ، التى يرقد أمامها

جنديا الحراسة كجثتين هامدتين ، وأحدهما قد تجرّد تمامًا من ملابسه ..

وفور رسوّ القارب ، هبط منه (كاشتا) فى رشاقة ـ برغم ضخامته الهائلة ـ وأسرع يتفحص الجنديين وفى إثره (شث) ..

كانا فاقدى الوعى فقط ، وبرغم هذا فقد ارتسمت آيات الغضب الرهيب على وجه (كاشتا) ، حتى إن (شث) قد أصابه الذعر لمرآه ، ثم لسماعه يهتف ، وأنفاسه أشبه بخوار ثور مهزوم :

ـ لقد خُدِعنا يا (شث) .. أحدهم غرر بنا ، وانقدنا له كالسذج ..

واستحال وجهه إلى كارثة حقيقية ، وهو يعتصر قبضته ، قائلاً :

ـ ولكنى سأجعله يندم على تلك اللحظة التى فكّر فيها أن يخدعنى ..

وانطلق عابرًا بوابة القصر فى خفة لا تتناسب مع وزنه ، وخلفه (شث) يتبعه كظله ..

★ ★ ★

كان (حورى) فى حاجة إلى معجزة تنقذه ..

فبرغم قوته الجسدية ، وخفة حركته ، وإلمامه وشغفه بالقتال والنزال ، إلا أن الذى يطوقه لم يكن يقل عنه أبدًا قوة وخفة وإلمامًا وخبرة ، إن لم يزد ..

فـ (حورى) ـ برغم كل شىء ـ شاب لم تسحقه تجارب الحياة ولم تطحنه ميادين المعركة وساحات المبارزة ، بعكس (باتاو) الذى قاد جيوش الفرعون سنين طوالاً ..

كانت النتيجة محسومة تقريبًا ، فـ (باتاو) يضغط بخنجره ، و (حورى) يشعر بوخز اختراق النصل لجلده ، عاجزًا عن الإتيان بأية حركة لن يكون من شأنها إلا الإسراع بمصرعه ..

وفجأة ، حدثت المعجزة ..

وكانت أبسط مما يتخيله (حورى) نفسه عن المعجزات !

ـ انتظر يا (باتاو) ..

صوت (كاشتا) يجلجل عند مدخل القاعة ، لقد وصل فى الوقت المناسب تمامًا ..

ـ ألن نتعرف بضيفنا أولاً ؟!

قالها وهو يتقدم نحو الثلاثة فى بطنه المعهود ، وقد ارتسمت على شفتيه الغليظتين ـ أخيرًا ـ بسمة انتصار .. فقال (باتاو) وقد بلغ به الضيق مبلغه :

ـ أرى من الأفضل أن أقضى عليه فى الحال ..

أضاف (بنتاءور) متوترًا :

ـ لا وقت لهذا الهزل يا (كـ ...) .. أقصد يا سمو الأمير ..

حدق (كاشتا) فى وجه (حورى) المتجمد الملامح ، ووجه إليه حديثه ، قائلاً :

ـ يبدو أنك تمتلك مهارات فذة ، فقد استطعت خداعنا جميعًا ، وهزمت اثنين من أقوى جنودى حتى إنك استوليت على لباس أحدهما ، ثم هأنتذا تقف فى أكبر قاعات قصرى ..

تدخل (باتاو) ، قائلاً :

ـ مشلول الحركة تمامًا ، وبفضلى أنا ..

لم يلق (كاشتا) له بالاً ، وسأل (حورى) فى حسم :

ـ أخبرنى أيها الصغير .. هل أنت من شرطة (طيبة) ؟! أم لعلك من الجيش ؟! أم يكونون قد أرسلوك ردًا على رسالتى التى .....

بتر عبارته ، وهو يحدق فى ذهول ممزوج بالجزع إلى يد (حورى) ..

لقد هاله مرأى العين ..

عين (أوزوريس) الذهبية ..

بالأحرى نسختها الشبيهة ..

★ ★ ★

(أرى النيران تصبح مسوخًا من لهب ..

ترقص رقصة الموت الأخيرة حول عين من ذهب ..)

★ ★ ★

ـ ما هذا ؟!

سأل (كاشتا) مشيرًا إلى العين التى يمسك بها (حورى) ، فارتبك (بنتاءور) وابتلع ريقه فى صعوبة ، بينما خفف الخوف من قوة ساعد (باتاو) الملتف حول عنق (حورى) ..

وكان (حورى) ينتظر فرصة كهذه ..

وفى لمح البصر ، أسقط الحلية المزيفة من قبضته ، ورفع يديه قابضًا على معصم يد (باتاو) الممسكة بالخنجر ، وهز يده بعنف حتى أسقط منها الخنجر ، ثم استدار بلكم (باتاو) فى بطنه ، فينحنى الأخير من شدة الألم ، فيعقبها (حورى) بكوعه هابطًا به على ظهر غريمه ، فيسقط (باتاو) متلويًا على الأرض ..

فغر (كاشتا) فاه فى دهشة ، ولاحت فى عينيه ـ كالبرق ـ نظرة إعجاب بـ (حورى) كمقاتل ، لكنه سرعان ما تمالك نفسه ، فقال رامقًا (حورى) فى غِلّ :

ـ مبهر فعلاً أيها الشاب ، لكنك بهذا تهين ضيوفى ..

وانتفخت عضلات جسده فبدا وحشًا آدميًا حقيقيًا وهو يضيف :

ـ ولكنى سألقنك درسًا فى القتال .. درسًا لن تنساه أبدًا ما حييت ..

وهتف مقتربًا من (حورى) ، وخطواته تدب كفيل ثائر :

ـ والأبقى هو الأقوى يا صغيرى ..

دق قلب (حورى) فى عنف ، وهو يشاهد (كاشتا) ، يقترب ..

لم يكن مستعدًا لخوض معركة ضد حائط بشرى كهذا ، يستنفد من خلالها قوته دون طائل .. ثم إن نتيجة معركة كهذه ، ليست التوقعات فيها لصالحه إطلاقًا ..

لكنه لم يجد مفرًا ، فـ (شث) واقف أمام مدخل القاعة حائلاً دون المغادرة ، والنافذة الوحيدة ـ المطلة على الجانب الغربى ـ تقع خلف ظهر (كاشتا) الذى يواصل تقدمه ..

فما العمل ؟!

(كاشتا) يقترب .. تكشف بسمته الشيطانية عن أسنانه البيضاء ..

وعندما أصبح (كاشتا) على بعد خطوتين منه ، لمح (حورى) شيئًا ما على الأرض ..

شيئًا قد يساعده على تجنب معركة غير متكافئة ، كهذه ..

★ ★ ★

أخذت (نفرو) تقضم أظفارها وقد استبد بها القلق .. لقد سمعت الانفجار منذ قليل ، ولكن أحدًا منهما لم يعد بعد .. كانت قلقة أيضًا بشأن التماسيح التى قد تقترب فى أى لحظة باحثة عن قوت ليلها .. فلا تجد سواها غذاءً شهيًا !

مضى الوقت .. ولم يعد أحد بعد ..

وفى جلستها على طرف القارب ، لمحت (نفرو) خيال شىء ما يسبح تحت الماء ..

خفق قلبها ذعرًا ، وكادت تند عنها صرخة رعب فى قلب الليل الهادئ ، عندما رأت جسمًا ما يصعد فجأة من تحت الماء .. لكن الصرخة خرجت ـ لحسن حظها ـ فى شكل شهقة مكتومة ..

ثم فاجأها الضحك !

لم يكن هذا سوى (محب) الذى استغرق فى ضحك خافت ، بينما هتفت (نفرو) غاضبة وهى تعقد حاجبيها الرفيعين :

ـ يا إلهى .. لقد أفزعتنى !

ـ أعلم هذا !

قالها وعاد يضحك فى نشوة من جديد ، بينما أخرجت له (نفرو) لسانها ثم قالت :

ـ سخيف ! لست خفيف الظل !

رفع (محب) رأسه إليها ـ ولم يكن هناك ما هو ظاهر منه سواه ـ ثم قال مداعبًا :

ـ حقًا ؟! لماذا إذن ألمح بسمة مختبئة فى عينيك ؟!

ابتسمت على الرغم منها ، ثم هزت كتفيها وقالت تغير الموضوع :

ـ يبدو أن الخدعة قد انطلت عليهم ..

أجابها فى سعادة كأنه طفل صغير يقص على أمه ما حدث خلال يومه :

ـ بالفعل ، إنها خدعة قديمة ، لكنها لا تفقد فعاليتها أبدًا .. إذا أردت أن تتسلل إلى حصن عدوك ، فلتشغله عن حراسته بتوجيه أنظاره إلى هدف كاذب .. لذا ، لجأت لاستخدام ذلك المحلول الذى سرعان ما ينفجر عند ملامسته للماء(*)..

كانت تعلم ما يقوله ، لكنها لم ترد أن تفسد عليه لذة الحديث ، فقالت بعدما فرغ من قوله :

ـ فلتصعد إذن لئلا يصيبك العطس أو السعال ..

قال (محب) فى حماس محافظًا على نبرته الخافتة نسبيًا :

(*) بعض المركبات الكيميائية المؤكسدة تتفاعل مع الماء مولدة انفجارًا محدودًا ، ومنها بعض مركبات الهالوجينات القوية مثل خامس فلوريد البوتين ..

ـ لقد ذهب الشتاء يا عزيزتى ببرده وأمطاره وأمراضه .. إنه الربيع الآن ، ولا أجمل من السباحة فى فصل رائع كهذا .. حيث يرتفع الفيضان ، وتتفتح الأزهار ، وتنمو السنابل ..

قالها ثم طفا بجسده فوق سطح الماء ، فعادت تسأله :

ـ ألا تخشى التماسيح ؟!

سألها هازلاً :

ـ ومن يخشى مخلوقًا وديعًا كهذا ؟!

هزت رأسها فى استغراب قائلة :

ـ لا أعلم كيف تواتيك القدرة على التمتع بوقتك هادئًا هكذا ، ومازال (حورى) فى مركز الخطر الوبيل ؟!

ـ أنا واثق من أنه سيفعلها ..

ثم اعتدل هاتفًا بها :

ـ انتظرينى لحظة ..

وغاص فى الماء مبتعدًا ، ولم تفهم (نفرو) شيئًا سوى أن (محب) هذا غريب الأطوار بالفعل وتأكد فهمها عندما رأته عائدًا يسبح وفى راحته يقبع شىء ما لم تميزه فى البداية ..

ولكنها مع اقترابه ميزته نوعًا ..

كان يحمل فوق راحته زهرة لوتس .. زرقاء اللون !

وفوجئت به (نفرو) يقول قبل أن تدرك الأمر :

ـ إلى أميرة ليل النوبة ، زهرة تتمنى أن تنال رضا مولاتى !

شعرت (نفرو) بأنها قد أصيبت بالخرس ، وربما بالشلل أيضًا .. فلم تنطق حرفًا ، ولم يتحرك لها جفن ، كأن المفاجأة قد حولتها إلى حجر أصم .. (محب) أيضًا لم يتحرك رافعًا بيديه الزهرة فى انتظار أن تلتقطها (نفرو) ، فبدا المشهد شبيهًا بالطبيعة الصامتة !

لحظات مضت ، ثم انشقت الأحراش الكثيفة الطويلة عن قاربين من البردى يحملان فوق متنهما جنود (كاشتا) النوبيين ..

ـ يا للشاعرية !

هتف أحدهم .. بينما سأل آخر فى عنف صارم :

ـ ماذا تفعلان هنا ؟!

أفاق (محب) ثم (نفرو) من غرقهما فى مساحات الشرود ، ليوقنا أنهما بين شقى الرحى .. فالقاربان يقتربان من جهتين مختلفتين .. والجنود يحملون رماحهم ذات الرءوس المعدنية .. وأى حركة خاطئة لن تحمل سوى معنى واحد ..

الموت ..

★ ★ ★

(..... صوت رمح (كاشتا) وهو يرتطم بالأرض ، إذ ألقاه (كاشتا) بعيدًا وهو ينهض من فوق العرش متجهًا نحو (باتاو) .....) ..

★ ★ ★

بطرف عينه ، لمح (حورى) ذلك الرمح الملقى على الأرض إلى يمينه ، وكان يبعد عنه مسافة ثلاثة أمتار تقريبًا ..

.. و (كاشتا) يقترب ..

كان لا بد له من الحصول على الرمح ، لأنه طوق نجاته الوحيد من فيضان ذلك الديناصور الآدمى العاتى .. فما العمل ؟!

ـ (كاشتا) يقترب ..

هيا يا (حورى) .. بمقدورك أن تفعلها .. فأنت أحد أنجب أبناء (لوتس) ..

.. (كاشتا) قد اقترب ..

قفزة رشيقة ، بهلوانية ، سريعة ، قفزها (حورى) إلى اليمين مستندًا إلى راحتيه على الأرض ، ثم دائرًا فى الهواء دورة كاملة ليجد نفسه بجوار رمح (كاشتا) الطويل ذى القناة الغليظة المزركشة ..

قفزة رائعة ، لم يتسن لـ (كاشتا) أن يشاهدها ، فكل ما رآه هو اختفاء (حورى) من أمامه فجأة ، ثم ظهوره ـ فجأة أيضًا ـ إلى اليمين ..

وقبل أن يرغى (كاشتا) ويزبد ، وقبل حتى أن يفكر فى خطوته القادمة ، التقط (حورى) الرمح من الأرض ، وشهره فى وجه (كاشتا) ، قائلاً :

ـ نقطة فى صالحى !

ثارت ثائرة (كاشتا) ، وهتف بـ (حورى) حانقًا :

ـ سوف أقتلك أيها الطيبى !

واندفع نحوه ـ بسرعة هذه المرة ـ كالثور الهائج ، لكن (حورى) اختفى من أمامه مرة أخرى .. لقد استخدم الرمح ـ كزانة ـ ثبتها على الأرض وارتفع معها حتى أعلى سقف القاعة ، ثم قفز قفزة واسعة انتهت به عند طرف القاعة الغربى حيث النافذة الوحيدة ..

مشدوهًا هتف (بنتاءور) وهو يتابع القفزة :

ـ يا للشيطان !

ولم يدرك (كاشتا) الأمر إلا بعدما قفز (حورى) من النافذة هابطًا إلى البحيرة !

عندها هرع إلى النافذة صارخًا :

ـ سأقتلك أيها الطيبى .. سأحطمك .. سأجعلك غذاء لتماسيحى ..

وهرع فى إثره (بنتاءور) تجذبه اللهفة لمعرفة مصير هذا المقاتل العنيد الذى قفز إلى حيث يقف أربعة من الحراس شاهرين رماحهم على متن قواربهم .. فبدا كالمستجير من الرمضاء بالنار ، أو من (كاشتا) بجنوده الأشاوس ..

هؤلاء الجنود الذين فوجئوا بشخص يرتدى ملابس الحرس النوبى ، يهبط فوق رءوسهم من السماء ، ويغوص فى قلب المياه الراكدة ، ثم بأميرهم (كاشتا) يظهر عند النافذة زاعقًا فى هياج بركان ثائر :

ـ اقبضوا عليه .. أريد هذا الوغد حيًا ..

صوب الجنود الأربعة رماحهم إلى النقطة التى سقط فيها (حورى) ، فصنع سقوطه دوائر واسعة كثيرة متحدة المركز ، وفور أن راقت المياه استعدوا للهجوم ، لكنهم لم يجدوا له أثرًا ..

سادت همهمة بين الجنود ، لم تدم إلا ثوان معدودة ، سارع بعدها القاربان بالافتراق بحثًا عن (حورى) ، عندما أتى صياح (كاشتا) من أعلى :

ـ احذروا أيها الأغبياء ..

جاء تحذيره متأخرًا للغاية ، فقبل حتى أن يتم عبارته ، فوجئ أحد الجنود بمن يجذبه من قدميه ، فاختل توازنه ساقطًا فى المياه ، وقبل أن يعى الجندى الآخر ما حدث ، وجد القارب ينقلب به رأسًا على عقب ..

وفى المياه ، اشتبك الجندى الأول مع (حورى) اشتباكًا سريعًا أنهاه الأخير على الفور بلكمة ساحقة على أم رأس الأول ، وعندما طوق الجندى الثانى جذع (حورى) بذراعيه من الخلف ، وجه إليه (حورى) ضربة كوع خلفية أصابت صدره ، ثم استدار (حورى) بسرعة موجهًا إليه ضربة قاضية برأسه ، طفا بعدها جسد الجندى الثانى فاقدًا الوعى على صفحة مياه البحيرة ..

تسلق بعدها (حورى) ظهر القارب المقلوب معتليًا إياه ، ورأى الجنديين الآخرين يقتربان منه برمحيهما ، وهو أعزل فى مواجهتهما إلا من عقله وحنكته ..

هتف به أحدهما مصوبًا رمحه ناحيته :

ـ استسلم خير لك ..

وتابع الثانى الذى كان يجدف بهمة :

ـ لا نريد القضاء عليك ..

حدق فيهما (حورى) للحظة دون أن يجيب ، وهو يفكر بعمق فى كيفية التعامل مع موقف كهذا .. وفجأة برقت له فكرة أسرع يدخلها فى حيز التنفيذ بلا تأخير ..

كان القارب الآخر قد أصبح بعيدًا بمسافة تقارب الثلاثة أمتار ، ويواصل اقترابه تدريجيًا ، فتحفزت عضلات (حورى) ، ثم قفز بسرعة نحو الجندى الذى يجدف ، فدفعه بجسده ليسقطا معًا فى المياه ..

التفت الجندى الثانى نحو موقع سقوطهما ، فرأى (حورى) وقد صنع من جسد رفيقه درعًا بشريًا يعوق تسديد الرمح إلى أى نقطة فى جسده ، فأسقط فى يد الجندى الثانى ، ووقف حائرًا لا يدرى ماذا يفعل ..

هتف (كاشتا) من موقعه بالنافذة ، وهو يمد جذعه للخارج حتى كاد يسقط :

ـ اهجم أيها الملعون .. لا تدعه يفلت ..

استبدت الحيرة بالجندى وغلبه توتره ، وهو يقف عاجزًا عن الهجوم أو التفكير ، ثم رأى (حورى) وهو يسدد برأسه ضربة إلى مؤخرة عنق زميله ، فيخر هذا الأخير فاقدًا للوعى فوق سطح الماء ..

هنا حسم الجندى أمره ، فصوب رمحه إلى رأس (حورى) ، وصرخ من أعماقه صرخة هزّت أحجار الجزيرة الصلدة ، ثم أطلق رمحه فى الاتجاه الصحيح تمامًا ..

لكن ثانية واحدة صنعت فارقًا رهيبًا ..

صنعت حدًا فاصلاً بين الحياة والموت ..

ثانية واحدة أدرك خلالها (حورى) أن الرمح مصوب إلى رأسه ، فسارع بالغوص فى أعماق البحيرة ، والسباحة كفرس النهر بعيدًا عن مجال تصويبه ..

وطاش رمح الجندى .. الذى عض شفتيه فى غيظ وندم .. قبل أن يفاجأ بالماء يتفجر عن قنبلة بشرية أطاحت به بعيدًا ،

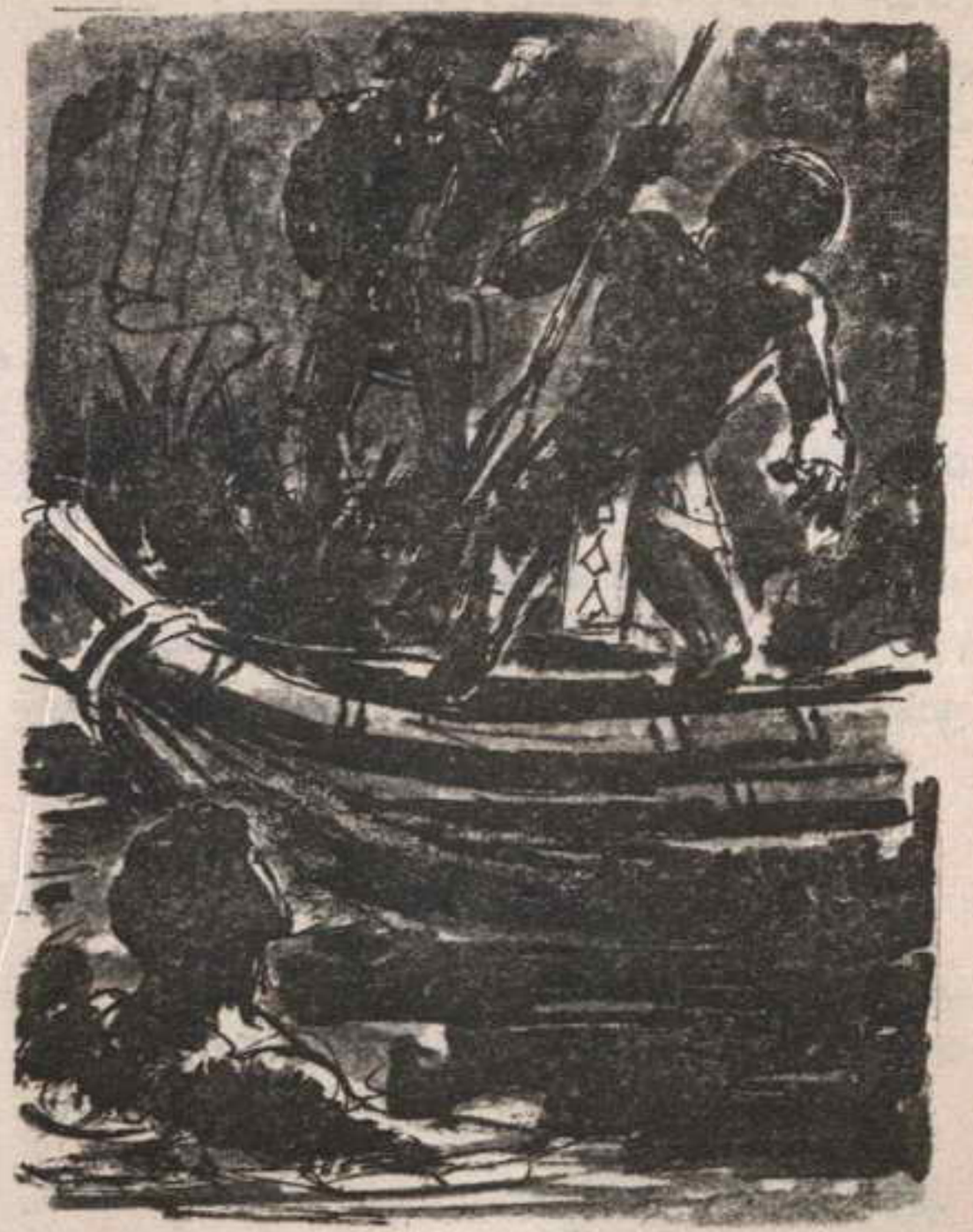

ثانية واحدة أدرك خلالها (حورى) أن الرمح مصوب إلى رأسه ، فسارع بالغوص فى أعماق البحيرة ، والسباحة كفرس النهر بعيدًا عن مجال تصويبه ..

وهوت على وجهه بلطمة أفقدته وعيه ، فطفا كزملائه على سطح الماء كجثة هامدة ..

عاد (حورى) يعتلى ظهر القارب المقلوب ، موجهًا بصره هذه المرة إلى أعلى ، حيث يقف (كاشتا) نافثًا حمم غضبه فى زفرات متابعة كأنها آتية من قلب الجحيم ، وهتف فى النهاية متوعدًا :

ـ لن تفلت منى أيها الطيبى الملعون .. سأقتص لجنودى بيدى هذه ..

ابتسم (حورى) فى ظفر ، وأشار لـ (كاشتا) بيده مجيبًا ، ثم قفز إلى الماء كضفدع خبير ، وعام حتى أخفته الأحراش الكثيفة عن أبصار (كاشتا) و (بنتاءور) ..

وفور اختفائه ، هوى (كاشتا) بقبضته على إفريز النافذة الحجرى ، هاتفًا :

ـ لن أدعك تهزمنى أبدًا !

ـ انظر هناك يا (كاشتا) ..

لم ينتبه (كاشتا) إلى أن (بنتاءور) قد ناداه باسمه مجردًا ، إذ وجه ناظريه إلى حيث أشار هذا الأخير ، فرأى قاربين ـ من قوارب حراسه ـ آتيين من جهة الجنوب ، وبينهما قارب ثالث لم يره من قبل ..

يجلس على متنه شاب وشابة مقيدان بالحبال ..

شاب وشابة نعرفهما نحن جيدًا ..

(محب) .. و (نفرو) ..

★ ★ ★

٤ ـ عـودة ..

ـ والآن .. ماذا لدينا ها هنا ؟!

تساءل (كاشتا) وهو يجلس على عرشه الوثير ، رامقًا أسيريه اللذين قُيِّدا بالحبال القوية ، وقد بللتهما مياه البحيرة تمامًا ..

ـ من تكونان ؟!

يبدوان متماسكين ، واثقين تمامًا من نفسيهما ، لا تتناسب سكينتهما مطلقًا مع وضعهما كائنين يمثلان أمام حاكم منطقة الشلال الثانى ، وجنوده يصوبون إليهما أسنة رماحهم ..

ـ بل من تكونون أنتم ؟!

هتف (محب) متظاهرًا بالأنفة والعنجهية ، فصاح به (شبث) الماثل إلى جوار (كاشتا) فى غضب ذاهل :

ـ هل جننت أيها الـ ...

أخرسه (كاشتا) بإشارة من يده ، ثم سأل (محب) فى توجس :

ـ لتجب أنت عن سؤالى أولاً ..

قال (محب) فى زهو لا تنقصه مسحة الكرامة الجريحة :

ـ أنا الأمير (كاف) ، أحد أمراء طيبة ، وأمت بصلة قرابة قوية للأسرة الملكية الحاكمة ، وهذه زوجتى الأميرة (نفرت) ، خرجنا عصرًا فى رحلة نهرية وسط حشد من الحراس ، لكننا ضللنا عنهم الطريق حتى جذبنا التيار إلى هنا ..

وتساءل فى حيرة تبدو صادقة :

ـ أين نحن الآن ؟! ومن أنتم ؟!

بدا (محب) صادقًا للغاية ، حتى إن (نفرو) نفسها كادت تصدقه ، بينما تفرس (كاشتا) فى ملامحه وهو يتحدث محاولاً سبر أغواره وكشف ألاعيبه ، لكنه لم يجد فى لهجته ما يشى إطلاقًا بعدم مطابقة قوله لمقتضى حاله ، حتى عاد يسأله :

ـ وما دام الأمر كذلك ، لماذا إذن قاومتهما جنودى عندما عثروا عليكما ؟!

أشار (محب) إليهم هاتفًا :

ـ هؤلاء الجنود ؟! لقد هاجمونا بعنف دون سابق إنذار ، فكان أول ما خطر لنا أنهم أفراد إحدى القبائل البدائية ، ينوون الإجهاز علينا لسرقتنا أو قتلنا ..

باغته (كاشتا) بسؤال مفاجئ :

ـ وماذا عن المياه المتفجرة ؟!

عقد (محب) حاجبيه سائلاً :

ـ أى مياه متفجرة ؟!

تدخلت (نفرو) لتؤدى دورها ببراعة هى الأخرى :

ـ ربما يقصد تلك الأصوات التى سمعناها من بعيد ..

تقمّص (حورى) دوره متظاهرًا بالفهم ثم قال :

ـ لقد ظنناها نوعًا من احتفالاتكم القبلية التى نعجز عن فهمها لدينا فى (طيبة) ..

بدا أداؤهما مقنعًا للغاية ، لكن (كاشتا) لا يقتنع بسهولة ، فعاد يسأل :

ـ هل تعرفان شيئًا عن هذه العين ؟!

ورفع أمام أنظارهما حلية لعين (أوزوريس) ، فهزّت (نفرو) كتفيها قائلة فى بساطة :

ـ أعتقد أنها عين (أوزوريس) !

وأردف (محب) بقوله :

ـ تبدو حلية جميلة ! لكنى لم أرها من قبل فى حياتى .. إن كان هذا ما تعنيه !

ثم رفعت (نفرو) معصميها المقيدين هاتفة فى انزعاج يليق بالأميرات :

ـ هل سنبقى رهن هذه القيود طويلاً ؟!

وتساءل (محب) بدوره :

ـ بأى حق تفعلون بنا هذا ؟!

وجاءت إجابة (كاشتا) فى شكل سؤال آخر :

ـ وكيف لى أن أتأكد أنكما تمتان فعلاً بصلة قرابة للأسرة الملكية ؟!

فى ثقة أكدتها العصبية رد (محب) :

ـ يمكنك أن تتقصى الحقيقة بنفسك من الحامية المصرية المتمركزة هنا .. فلديهم علم بشأن رحلتنا .. بإمكانك حتى أن ترسل للقصر الملكى فى (طيبة) ، لكن التأخير ليس فى صالحك على الإطلاق ..

لم تستفز العبارة (كاشتا) ، الذى التفت إلى (شث) قائلاً : فى هدوء غير متوقع :

ـ ألق بهما فى القبو حتى نقرّر ما نفعله بشأنهما ..

أشار (شث) إلى الجنود بالتنفيذ ، فاقتادهما الجنود و (محب) ينذر ويتوعد حتى غادروا القاعة تمامًا .. فهزّ (شث) كتفيه وأتحف أميره بإحدى تعليقاته السخيفة :

ـ لا أصدق أن نعثر على أمير وأميرة فى رحلة نهرية ، بعد منتصف الليل !

استغرق (كاشتا) فى تفكير عميق وهو يحدق فى تلك العين الذهبية التى أسقطها (حورى) من يده ، وحاول أن يتجاهل علاقتها بنبوءة الساحر (كيكى) لكن عقله أبى عليه ذلك ..

هناك علاقة حتمًا ..

علاقة لا تحمل سوى معنى واحد ..

(مجد زائل .. وسؤدد يتلاشى) ..

وهذا ما لم يحتمله أبدًا ..

ـ وماذا سنفعل بهما يا سمو الأمير ؟!

قطع عليه (شث) حبل أفكاره ، فزفر فى ضيق ، ثم قال :

ـ اتركهما .. فلو كانا كاذبيْن فسيهلكان لا محالة ، وطرق الهلاك كثيرة .. ولو كانا صادقيْن .. فربما كنا فى حاجة إليهما عندما ندق طبول الحرب غدًا ، كرهائن على الأقل ..

ثم عاد ينظر إلى الحلية ، قائلاً فى لهجة آمرة :

ـ ولتحضر لى الآن (باتاو) و(بنتاءور) .. فمعهما مفتاح هذا اللغز بالتأكيد ..

* * *

القبو مظلم كبطن الحوت ..

ما من صوت إلا أنفاسهما المنتظمة ..

لم تتوقع (نفرو) أن يهدأ (محب) هكذا اعتادته دومًا يموج بالصخب والمرح حتى فى أحلك المواقف .. وعليها هذه المرة أن تبدأه بالحديث ، ربما لتنشغل به عن خفقات صدرها الشبيهة بقرع الدفوف ..

ـ والآن ماذا ؟!

ـ سننتظر عودة (حورى) !

كان هذا آخر رد تتوقعه ، فسألته مستفهمة :

ـ وما أدراك أنه سيعود ؟!

مجرّد إحساس داخلى !

لم يكن أمامها سوى تغيير الموضوع بعد رد باتر كهذا !

ـ أتعلم ؟! أتساءل إن كانت الحلية التى أشار لها (كاشتا) هى الأصلية أم ..... ؟

ـ إنها المزيفة ..

ـ وكيف عـ ..... ؟

ـ لا تسأليني فى مجال خبرتى الرئيسى ..

ـ معنى هذا أنه ربما قد نجح فى الحصول على الحلية الأصلية ، وربما لم ينجح بعد ..

ـ طبقًا لقانون الاحتمالات .. هذا صحيح تمامًا ..

ـ إذا كان قد أدى مهمته بنجاح .. بينما أخفقنا نحن ، فلماذا يعود ؟!

صمت قليلاً .. ثم أجاب :

ـ ربما لم يعثر عليها بعد ..

ـ وربما فعل ..

طال صمته هذه المرة ، لكن صوته أتاها فى الظلام يحمل رنة ثقة واضحة :

ـ سوف يعود .. فأنا أصدق دومًا أحاسيسى الداخلية ..

* * *

ـ قطعًا سأعود ..

هتف (حورى) بالعبارة فى وجه (حتب) كبير ضباط الحامية المصرية بالنوبة ، فما كان من هذا الأخير إلا أن قال محذرًا :

ـ هذه المرة سيكون الخطر مضاعفًا .. سيكثف (كاشتا) الحراسة حول قصره ، وربما أيقظ التماسيح النائمة لتكون فى الخدمة هذه الليلة ..

وتابع مستطردًا :

ـ لقد أهنت كبرياءه كمقاتل له باع طويل ، وكأمير ذى مهابة لا تمس ، واستطعت التسلل إلى قصره ثم الإفلات منه .. وهو لن يغفر هذا قط .. ولن ينساه أبدًا ..

بدا (حورى) مستغرقًا فى التفكير .. فصمت (حتب) يتابع التغيرات فى ملامح وجهه ، حتى قال كأنه يذكره بشىء قد نسيه :

ـ وأغلب الظن أنه استطاع أن يأسر (محب) و (نفرو) أيضًا ..

قال (حورى) دون أن يتبدل شىء فى ملامحه الجامدة :

ـ المهمة لم تنفذ بعد ، ضابط (حتب) .. والأولوية دومًا لتنفيذ المهمة بنجاح دون الالتفات للخسائر ، مادية كانت ، أو ...

صمت للحظة ، ثم أضاف :

ـ أو معنوية ..

لم يفهم (حتب) مقصده ، فالتزم جانب الصمت حتى يحسم (حورى) أمره ، وأخذ (حورى) يذرع القاعة ذهابًا وجيئة وهو يرتب الأمور فى عقله حتى يصدر قراره موضوعيًا تمامًا بعيدًا عن أى انفعالات وقتية ..

ويبدو أن فكرة ما قد واتته ، إذ توقف عن السير فجأة ، وضيق حدقتيه ـ كعادته عندما يفكر ـ مغمغمًا كالمخاطب نفسه :

ـ ولكن وقوع (محب) و(نفرو) فى الأسر لا يبدو أمرًا سيئًا إلى هذا الحد !

نفض (حتب) رأسه فى عدم فهم ، وسأل (حورى) مستفهمًا :

ـ عذرًا سيد (حورى) .. ماذا قلت ؟!

قال (حورى) حاسمًا أمره :

ـ سوف أعود الآن إلى قصر (كاشتا) ، ولكنى لن أعود إليه بمفردى !

وقبل أن يسأله (حتب) عن معنى هذا أيضًا ، سارع (حورى) يتابع ، قائلاً :

ـ أحتاج كذلك لبعض الإمدادات العاجلة للغاية ، ضابط (حتب) ..

ثم انطلق يشرح له خطته الجديدة ..

والجهنمية ..

★ ★ ★

اقتحم (بنتاءور) الغرفة التى خصصها (كاشتا) له و لـ (باتاو) كمحل إقامة مؤقت فى قصره الواسع ، هاتفًا فى جزع :

ـ أرسل (كاشتا) فى طلبنا يا (باتاو) ..

تحامل (باتاو) على نفسه ، واعتدل من نومته بصعوبة ـ متأثرًا بصراعه مع (حورى) ، ثم قال فى إنهاك :

ـ لا بد من أن نفر بجلدنا يا (بنتاءور) !

محسورًا قال (بنتاءور) :

ـ هذا غير متاح فى الوقت الحالى ، للأسف ..

سأله (باتاو) فى استغراب :

ـ لماذا ؟! إن الأمور تتصاعد بشكل قد يقضى علينا نهائيًا ..

ترك (بنتاءور) ذراعيه ينهالان جواره ، قائلاً :

ـ لنحتمل للغد يا (باتاو) ..

حاول (باتاو) أن يحتد عليه ، لكن صوته خرج واهنًا على الرغم منه وهو يقول :

ـ أى غد ؟! وهل سيتركنا (كاشتا) بعد ما رأى تلك الحلية المقلدة فى يد ذلك الفتى الطيبى اللعين ؟! أم تريد أن نكشف له سرها ؟!

فى قمة توتره هتف (بنتاءور) :

ـ هذا أقصى ما فى وسعنا يا (باتاو) .. أن ننتظر للغد ..

ثارت الهواجس فى نفس (باتاو) ، فسأل مستريبًا :

ـ لماذا ؟! أين خبأت العين الأصلية يا (بنتاءور) ؟!

صمت (بنتاءور) ناظرًا إلى قدميه ، وتفصد العرق من مسام وجهه حتى غطاه تمامًا ، فأعاد عليه (باتاو) السؤال مرة أخرى :

ـ أين خبأت العين الأصلية يا (بنتاءور) ؟!

تردّد (بنتاءور) قبل أن يفتح فمه .. لكنه حسم أمره فى النهاية قائلاً فى استسلام :

ـ حسن .. سأخبرك يا (باتاو) ..

واتسعت عينا (باتاو) عندما أخبره ، موقنًا بأنه ورفيقه مقبلان على كارثة لا مفر منها ..

وبعد دقائق ، كانا يقفان أمام (كاشتا) المتربع على عرشه الوثير فى قاعة قصره الفسيحة ، وكان (كاشتا) يهتف بهما ، وصوته يدوى كزلزال اهتزت له أركان القاعة :

ـ تريدان إقناعى إذن بأن لا علاقة لكما بأمر هذه الحلية الذهبية !

ومال بجذعه للأمام سائلاً فى غلظة :

ـ هل أخبركما أحد بأننى غِرٌ ساذج يسهل خداعه ؟!

قال (بنتاءور) متعلقًا بحبال الأمل الواهية :

ـ إنها الحقيقة بلا رتوش يا سمو الأمير ..

تبعه (باتاو) بقوله محاولاً أن يبدو متماسكًا قدر استطاعته :

ـ ثم إنك لم تعثر عليها بحوزتنا ..

انفجر فيهما (كاشتا) صائحًا :

ـ كانت بحوزة ذلك الطيبى الذى تسلل إلى قصرى بحيلة ماكرة ، وقد جاء ذلك الطيبى من أجلكما .. لذا .....

لم يجد عبارات مناسبة يتم بها حديثه ، فغير مجرى الحديث إلى التهديد والوعيد :

ـ اسمعا أيها المهرّجان ، لن أسمح لكما أو لغيركما بالتلاعب بى إطلاقًا .. إن فى الأمر سرًا أجهله ، بينما تعلماته أنتما جيدًا ، لذا فليس أمامكما سوى خيار واحد لا بديل له .. ستخبراتى بهذا السر اللعين .. ولو رفضتما التحدث بالتى هى أحسن ، فلا مفر من تجربة كل الوسائل المقنعة معكما الواحدة تلو الأخرى ..

واعتصرت قبضته قناة رمحه الغليظة حتى كاد يكسرها ، وهو يضيف :

ـ ولا أنصحكما بتجربة وسائلى ، فمهما حلقتما بأجنحة الخيال ، لن تستطيعا تصور النذر اليسير من بشاعتها وفظاعتها ..

ارتعدت فرائص (بنتاءور) وهو يحاول تخيل ما سيلاقيه من صور العذاب المختلفة بأيدى زبانية (كاشتا) الغلاظ الشداد ، ووجد الأمر أشبه بكابوس مريع .. أفاق منه بسرعة هاتفًا :

ـ سأخبرك يا سمو الأمير بكل شىء .. كل شىء ..

لم ينتبه للنظرة النارية فى عين (باتاو) ، بقدر ما انتبه لشبح الابتسامة الذى تألق فوق شفتى (كاشتا) الغليظتين وهو يغمغم منشرحًا :

ـ هذا جيد .. أنتظر منك تفسيرًا مقنعًا ..

أسرع (بنتاءور) يقول متلعثمًا من فرط ما غزا نفسه الخوف والرعب :

ـ إنها حلية ذهبية تخص الملكة الأم (حتشبسوت) يا مولاى .. كنا قد أتينا بها معنا من (طيبة) ، فأرسلوا فى إثرنا هذا الشاب ليستردها ، لكنا استطعنا استبقاءها ومنعه من العودة بها ..

لم يبد أن (كاشتا) قد اقتنع ، فأخذ (بنتاءور) يناوره من جديد ، متظاهرًا بالوجل :

ـ إن لعين (أوزوريس) هذه بالذات قوة سحرية مهولة يا سمو الأمير .. يقال إن روح (حورس) تسكن داخلها ، لذا فإنها تمنح من يمتلكها البأس والقوة ، وتنزهه عن الضعف والوهن .. إنها تميمة الملكة عند الهزيمة ، فبوجودها يصبح النصر الأكيد فى الحرب قدرًا مقدورًا ..

كان (بنتاءور) يلعب على الأوتار الحساسة فى أعماق (كاشتا) ، الذى انجذب تمامًا لكلماته كأنه مسحور .. ثم نظر إلى الحلية اللامعة فى قبضته مغمغمًا فى همس ووجد :

ـ البأس والقوة ..

وانطفأت النيران فى عينى (باتاو) ، وقد فطن إلى اللعبة التى يلعبها (بنتاءور) ، فأخذ يلقى بأحطابه فى أتون رغبات (كاشتا) المستعر قائلاً :

ـ إنك ستشن الحرب على الأسرة الملكية فى (طيبة) غدًا .. وهو أمر ليس بالهين ، إنها أعرق حضارة عرفتها المنطقة .. لذا ...

التقط منه (بنتاءور) خيط الحديث نافثًا بكلماته المعسولة فى أذن (كاشتا) :

ـ لذا فأنت بحاجة ماسة إلى ما يمنحك هذه القوة الجبارة .. ولولا الخلاف الذى دب بيننا هذا المساء ، لكنا أهدينا إليك هذه العين بكل الود .. والصداقة .. والعرفان بالجميل ..

تبادل كلاهما نظرة جانبية فهما مغزاها على الفور ، بينما واصل (كاشتا) تحديقه فى العين مأخوذًا بما سمع .. وأفاق على صوت تابعه (شث) داخلاً القاعة :

ـ سمو الأمير (كاشتا) ..

رفع بصره إليه بسرعة سائلاً :

ـ ماذا يا (شث) ؟! اضطرابات أخرى ؟!

هزّ (شث) رأسه نافيًا ، ثم قال :

ـ بل زيارة رسمية يا مولاى ..

عقد (كاشتا) حاجبيه سائلاً فى استغراب :

ـ فى هذا الوقت المتأخر ؟!

هزّ (شث) رأسه موافقًا ، ثم قال :

ـ إنه الضابط (حتب) يا مولاى ..

فوجئ (كاشتا) بالاسم ، لكنه أشار إلى (شث) فى الحال آمرًا بإدخاله ، وفور انصراف (شث) التفت إلى (باتاو) و(بنتاءور) قائلاً فى غبطة :

ـ هذا سيغفر لكما الكثير !

انحنى (بنتاءور) أمامه قائلاً فى نفاق :

ـ العفو من شيم الكرام يا سمو الأمير ..

وأغمض عينيه متظاهرًا بالإجلال وهو يتابع كأنه يتلو ترتيلاً مقدسًا :

ـ الملك المنتصر دومًا (كاشتا) العظيم ..

أرضى هذا غرور (كاشتا) ، فانتفخت أوداجه فخرًا وهو يشير إليهما بالجلوس على تلك المصطبة التى يعلوها التمساح النيلى الضخم المحنط ، الذى يتجاوز طوله الخمسة أمتار كاملة ..

وبعد لحظات ، وقف مكانهما الضابط (حتب) وقفته العسكرية ، وإلى جواره شخص آخر متين البنيان ، ناعم الشعر أشيبه ، طويل اللحية ، بشرته ضاربة إلى سمرة تكاد تحاكى سمرة أهل النوبة الداكنة .. أشار إليه (حتب) قائلاً :

ـ القائد (شبس) من الحرس الملكى بـ (طيبة) ..

نظر إليه (كاشتا) نظرة رمادية لم تش بأى انفعال ، ثم عاد يسأل (حتب) فى لهجة جافة :

ـ وما الذى أتى بكما فى مثل هذا الوقت ، ضابط (حتب) ؟!

بكل اللياقة أجاب (حتب) :

ـ عذرًا سمو الأمير ، لكنها حالة طارئة لا تستدعى التأخير ..

ثم نظر نحو (شبس) مسلمًا إياه خيط الحديث ، فقال هذا الأخير فى صوت أجش مفعم بثبات جندى عتيد :

ـ لقد فقدنا الأمير (كاف) وزوجته الأميرة (نفرت) هذا المساء عندما كنا نحرسهما فى رحلتهما النيلية .. وأغلب الظن أنهما قد وصلا إلى حدود هذه المنطقة ، لكننا فتشنا كل الأماكن المتاحة ولم نعثر عليهما بعد ..

وصمت لحظة ليرى رد الفعل على وجه (كاشتا) ، ثم تابع :

ـ وأملنا الأخير أن يكون جنودك قد عثروا عليهما يا سمو الأمير .. أو أن تكون ـ على الأقل ـ عونًا لنا على البحث فى هذه المنطقة التى يخبرها جنودك جيدًا ..

نقر (كاشتا) بأصابعه المكتنزة فوق مسند عرشه ، وبدا أنه يتخذ قرارًا ما ، ثم قال بعد أن اتخذه بالفعل :

ـ لقد عثرنا عليهما بالفعل ..

وقبل أن يقول أى منهما شيئًا ، سارع يغلق أمامهما الأبواب قائلاً فى حزم :

ـ ولكنى لن أسلمهما لكما ..

عقد (شبس) حاجبيه بشدة هاتفًا :

ـ ماذا ؟!

أشار (حتب) بسبابته قائلاً فى لهجة تحذير :

ـ هذا تحد سافر للسيادة الفرعونية ولـ .....

قاطعه (كاشتا) قائلاً فى برود :

ـ إنه كذلك بالفعل .. إننى أتحدى (طيبة) بكل ملوكها ونبلائها وفلاحيها وموظفيها وعمالها .. بكل جيشها وشرطتها وقواتها .. بكل ما تمثله من مجد زائل .. وسؤدد يتلاشى !!

وأشار إليهما برمحه ، قائلاً وهو يتفرس فى وجومهما الذاهل :

ـ لقد أعلنت الحرب بالفعل ، وإذا لم يصلنى رسول الملكة حاملاً راية الاستسلام البيضاء غدًا ، فستزحف قواتى القبلية نحو (طيبة) بعد غد على الأكثر .. أما أنتما فستعودان الآن إلى (طيبة) ـ لحسن حظكما ـ للإبلاغ عن الرهينتين اللتين أحوزهما بكل ما تحملانه من قيمة ملكية ، فربما كان هذا حافزًا لهم على الاستسلام السريع حقنًا لدماء قد تسيل أنهارًا ..

راقت كلماته لـ (بنتاءور) بشدة ، حتى إنه كاد يقفز مصفقًا فى حرارة بعد خطبته هذه ، أما (باتاو) فقد تجمدت ملامح وجهه عند كل ما يوحى بأنه يفكر ..

كان يشعر بخطأ ما فيما يحدث ..

خطأ لا يدرى مصدره ، ولا توجد قرينة واحدة تثبته ، أو حتى توضح كنهه ..

هتف (كاشتا) مناديًا :

ـ (شث) .. جهز قاربًا يقل السيدين إلى (طيبة) الآن ..

والتفت (شبس) و (حتب) نحو مدخل القاعة ليشاهدا (شث) الواقف عنده يستمع لأوامر مولاه فى طاعة وخضوع ..

وكانت هذه الالتفاتة كافية تمامًا ، لكى يدرك (باتاو) أين الخطأ ..

* * *

(..... (باتاو) يضغط بخنجره ، و (حورى) يشعر بوخز اختراق النصل لجلده ، عاجزًا عن الإتيان .....) ..

* * *

ـ انتظر يا (كاشتا) .. فى الأمر خدعة جديدة ..

التقت عنده أنظار جميع من فى القاعة ، حاملة آلاف علامات الاستفهام والتعصب ، حتى إن (بنتاءور) نفسه سأله مندهشًا :

ـ أى خدعة يا (باتاو) ؟!

أشار (باتاو) بسبابته إلى (شبس) هاتفًا وكلماته تتعثر فى حلقه :

ـ هذا ليس .. إنه .. إنه الفتى الطيبى الذى .. الذى ..

كشفت وخزة نصل الخنجر الأمر ..

رآها (باتاو) ظاهرة بجلاء كندبة حديثة فى رقبته ، برغم اسمرار البشرة الزائدة من حولها ..

ندبة لا يمكن أن يخطئها صانعها ..

وفهم (كاشتا) من فوره ما يرمى إليه (باتاو) ، فحدق فى وجه (شبس) ورقبته ، ثم هتف ذاهلاً :

ـ أيها الوغد .. إنك تخدعنى للمرة الثانية ..

أدرك (حورى) أن تنكره المتقن قد انكشف ، فخلع لحيته المستعارة وشعره المسترسل المزيف ناظرًا إلى (كاشتا) فى صلابة ، وهو يقول :

ـ وقد انطلت عليك مرة أخرى يا سمو الأمير !

ثم أردف فى ثقة لا تلائم ما آل إليه موقفه من ضعف :

ـ واللعبة لم تنته بعد ..

ندت ضحكة عالية من فم (كاشتا) تتضوع منها سخرية لاذعة ، أتبعها بقوله :

ـ انظر من يتكلم .. إنك الآن تحت رحمتى أيها الطفل الواثق من نفسه ..

ثم برقت عيناه ببريق عابث ، وهو يتابع :

ـ لكنك على حق .. إن اللعبة لم تنته بعد .. وبما أنك من القلائل الذين استطاعوا أن يثيروا إعجابى بقتالهم وبسالتهم ، سأمنحك فرصة أخرى أخيرة ..

هتف (باتاو) فى توسل :

ـ كلا .. اتركه لى يا (كاشتا) .. سأثأر منه ، سأطحن لحمه فى عظامه و ...

صرخ فيه (كاشتا) :

ـ اصمت يا (باتاو) .. أنا من سيحدد قواعد اللعبة .. أنا وحدى ..

والتفت يأمر (شث) الواقف كالديدبان على مدخل القاعة :

ـ أخرج الأسيرين من القبو .. وأعد قوارب البردى .. وابعث للجنود لجلب (شنك) و(سنك) إلى الجانب الغربى من القصر ..

اتسعت عينا (شث) نفسه فرقًا ، لكنه تمالك نفسه ومضى ينفذ الأوامر ، بينما عاد (كاشتا) يقلب ناظريه بين الحاضرين الذين استغلق عليهم فهم ما يقول ، ثم إنه ابتسم ابتسامة صفراء قائلاً :

ـ استعدوا يا سادة .. فاللعبة على وشك أن تبدأ ..

وأضاف فى نشوة دموية :

ـ وستكون لعبة ممتعة حقًا .. ممتعة إلى أقصى حد تتخيلونه ..

وعاد يضحك ، وعرشه يهتز به تحت تأثير ارتجاجات جسده الضخم ..

* * *

٥ ـ تماسيح ..

طوى (سيتى) وزير الجنوب وريقة صغيرة قرأها من فوره ، ثم نظر بعينين حمراوين يغشاهما النعاس إلى نائبه (تاوى) ، سائلاً فى خمول لم يستطع إخفاءه :

ـ متى وصلت هذه الرسالة ؟!

أجاب (تاوى) على الفور :

ـ لقد وصلت توًا ، سيد (سيتى) .. وجدناها مربوطة إلى ساق إحدى حمائم الزاجل ، التى يستخدمها (كاشتا) فى مراسلة القصر الملكى ..

قال (سيتى) شاردًا :

ـ إنه يهددنا بشن الحرب .. كأنه يقرأ أفكارنا !

وعاد يسأل (تاوى) متثائبًا :

ـ وماذا عن فريق (لوتس) ؟!

أجابه (تاوى) فى نبرة محايدة لا تحمل انفعالاً محددًا :

ـ لم تصلنا منهم أو عنهم أى أنباء بعد !

ولما رأى (سيتى) يعاود النظر إلى الوريقة المطوية بين أصابعه ، استطرد متداركًا :

ـ لكن هذه الرسالة لا تعنى شيئًا .. فلو وضعنا فى الحسبان سرعة طيران الحمامة ، مقارنة بالمسافة التى قطعتها من منطقة الشلال الثانى إلى هنا ، لرأينا أن الرسالة تستغرق زمنيًا ربع يوم حتى تصل .. أى أنها قد أرسلت بالأمس وقت الغروب تقريبًا .. ولم يكن الفريق حتى وقتها قد بدأ العمل بعد ، فيما أعتقد ..

هم (سيتى) بالنهوض قائلاً :

ـ لا بد من إطلاع الأمير (تحتمس) على هذا الأمر فورًا ..

عاجله (تاوى) بقوله :

ـ أقترح أن ننتظر قليلاً ، سيد (سيتى) ..

عقد (سيتى) حاجبيه متسائلاً فى غير فهم .

ـ وفيم الانتظار ؟!

سارع (تاوى) يفسر نظريته قائلاً :

ـ رسالة كهذه لن تمثل سوى مصدر إزعاج وبلبلة لا ضرورة لهما .. فالحملة العسكرية لتأديب (كاشتا) وقمع عصيانه ستتحرك غدًا ـ أقصد اليوم عصرًا على الأكثر فى كل الأحوال .. وربما دفعت هذه الرسالة الأمير للإسراع أو الاضطراب أو ..

تنهد فى قوة ، ثم تابع :

ـ أو فقدان الثقة فى جنود (لوتس) ..

لزم (سيتى) مقعده ، وهرش صلعته البراقة مغمغمًا :

ـ ربما كنت على حق يا (تاوى) .. فهو يعقد على عودتهم بالعين آمالاً عظيمة ، ويوليهم ثقته العمياء ..

قال (تاوى) مؤيدًا :

ـ أعتقد ، سيد (سيتى) ، أنهم أهل لهذه الثقة ...

نظر (سيتى) إلى الوريقة المطوية من جديد ، وهو يغمغم فى رجاء :

ـ حقًا ؟!

★ ★ ★

ـ لا أعلم يا (محب) ...

قالها (حورى) فى ضيق ، وهو يحدق فى مياه البحيرة التى لم تعد راكدة ، والتى يلتمع فوقها توهج نيران المشاعل المضيئة حول قصر (كاشتا) ...

ـ سيقضى علينا لا محالة ..

كان هذا تعليق (نفرو) ، لكنه لم يكن يحمل استنتاجًا لم يتوقعه أحد ..

ـ هذا أعلمه .. ولكنى أسائل نفسى لِمَ يفعلها هنا فوق مياه البحيرة ، لماذا لم يقض علينا فى القبو المظلم .. أو حتى فى قاعة العرش ؟!

ـ لا أظن المكان يصنع فارقًا ..

قالها الضابط (حتب) مستسخفًا النقاش الذى يدور بينهم فى موقف شديد القتامة كهذا ، أربعة مقيدون بالحبال على متن قارب من خشب يطفو ساكنًا فوق مياه البحيرة ، والجنود على قوارب البردى يروحون أمامهم ويجيئون كأنهم يجهزون لأمر ما على قدم وساق ..

ـ كلا ، ضابط (حتب) ، اسمح لى أن أختلف معك ..

كان (حتب) يتوقع ردًا جدليًا كهذا من (محب) .. ولكن من (حورى) ؟! لابد إذن أن فى الأمور أمور ..

ـ سيضع الأمر فارقًا رهيبًا ..

يحدق (حورى) نحو نقطة ما تقترب من بعيد ..

ـ ومميتًا !

اتجهت الأنظار كلها إلى الجهة التى يحدق فيها ، وكان الرعب هو القاسم المشترك فى ردود أفعالهم المختلفة .. فقد وجم (حتب) وشهقت (نفرو) وهتف (محب) :

ـ رباه !

ومن بعيد ، كان قارب (كاشتا) الضخم المزركش الحواف يقترب ..

(كاشتا) يضع ساقًا فوق مقدمته ، وبسمته الوحشية أصبحت أوسع من المحيط ..

خلفه يقف (باتاو) و(بنتاءور) كتابعين مطيعين ، لكن أحدًا من الجنود لم يكن يجدف ...

فقد كان القارب يسير بقوة الجر .. يجره من الأمام تمساحان نيليان عملاقان ، مربوطان إلى مقدمة القارب بحبال قوية مجدولة لتصبح فى سمك جذع شجرة غضة ..

وفى يد (كاشتا) ، استقر سوط جلدى طويل ، يهوى به .. بين الفينة والفينة .. فوق ظهر أحدهما ، مستحثًا إياهما على الإسراع..

وهكذا اتضح الأمر الذى يضمره (كاشتا) لهم ..

ذلك الأمر الذى أطلق عليه اسم : اللعبة ..

هتفت (نفرو) فى ارتياع :

ـ سيلقينا إلى هذه التماسيح .. !

ـ لا أظن أنه أتى بها لمجرد التعارف !

قالها (حورى) دون أن تكف عيناه عن التحديق فى التمساحين الضخمين ، ملاحظًا أن شيئًا ما فيها ليس طبيعيًا .. لكن الظلام والماء يحجبان هذا الشىء ..

فقد كان القارب يسير بقوة الجر .. يجره من الأمام تمساحان نيليان عملاقان ، مربوطان إلى مقدمة القارب بحبال قوية مجدولة لتصبح فى سمك جذع شجرة غضة ..

توقف القارب على مقربة من القارب الخشبى الذى يقبعون داخله فى جلسة القرفصاء ، وأشار (كاشتا) إلى تمساحيه هاتفًا فى مرح وحشى :

ـ أقدم لكم اثنين من أخلص أصدقائى .. (شنك) .. و (سنك) ..

ارتجف (محب) وهو يحدق فى التمساحين اللذين تبتلع مياه البحيرة ثلاثة أرباع ملامحهما ، لكن العيون الأربعة تطفو فوق المياه منبئة بشر وويل وثبور ..

بينما تابع (كاشتا) :

ـ لقد ربيتهما منذ الصغر، لذا فهما يدينان لى بالولاء المقدس .. لكنكم تعرفون أن التربية تشمل إلى جوار التدليل شيئًا من القسوة الواجبة .. إننى أقسو عليهما أحيانًا ليزدادا عزمًا وصلابة .. وكما يمكنكم أن تروا ، ففكاهما مربوطان إلى بعضهما ـ بقوة ـ بحبل غليظ لا يستطيع مخلوق فكه وحيدًا ..

فهم (حورى) ما هو الشىء غير الطبيعى الذى أحسه عند مرآهما ، وفهم أيضًا مغزاه الواضح ، لكن (كاشتا) استمر متابعًا وقد استبدت به ساديته :

ـ لقد أمرت بربط فكيهما منذ أيام ثلاثة ، امتنعا فيها عن التهام الطعام تمامًا ..

وأعتقد أن بإمكانكم الآن تخيل مدى جوعهما الشديد لأى فريسة ..

ثم مال ماسحًا بكفه على ظهر أحدهما :

ـ ولست معتادًا أن أخيب آمالهما بعد فترة الجوع القارص هذه ، وأقذف لهما دومًا بوليمة حافلة بعد طول الصبر والجلد ..

ثم رفع ناظريه يمسح بهما وجوه ضحاياه ، هاتفًا فى لذة :

ـ وهذه المرة بالذات ، الوليمة فاخرة بحق ..

اقترب منهم قارب بردى من الخلف ، على متنه (شت) يسأل أميره هاتفًا :

ـ هل أفك قيودهم جميعًا مرة واحدة يا سمو الأمير ؟!

انعكست نيران المشاعل على عينى (كاشتا) فبدتا كجمرتين متقدتين وهو يجيب :

ـ لا أنوى إصابة (شنك) و(سنك) بعسر هضم .. ألقهم واحدًا فواحدًا ..

ثم أشار إلى (حورى) مضيفًا :

ـ وليكن هذا المقاتل الصلب أولهم .. فالتماسيح تعشق لحم المحاربين !

وأعقب قوله بضحكة عالية ، تردد صداها فى جنبات المنطقة الساكنة كالقبر ..

أما (حورى) ، فلم يبد أنه سمعه من الأصل ..

كان شارد الذهن تمامًا ، بينما (شت) يفك قيوده المتينة ..

كان عقله يغوص فى بئر سحيقة ، بلا قرار ..

كان يتذكر ..

★ ★ ★

مستنقعات الدلتا ..

الأحراش .. الطمى الموحل .. الظلام .. والتماسيح ..

فتى فى مطلع عقده الثانى من العمر ، يقف فى لباس الحرب على متن قارب متواضع ، وبجواره رجل على أعتاب الشيخوخة ، الزاحفة شيبًا ينتشر فى شعر رأسه ولحيته كسرطان ..

صفير الحشرات والزواحف المتقطع يبعث الرجفة فى الأوصال ..

يناول الكهل الفتى رمحًا صغيرًا ..

ـ هيا يا (حورى) ..

يتراءى من بين الأحراش تمساح يزحف ..

ـ تستطيع القضاء عليه ، وحدك ..

ـ ولكن ..

ـ اهزم خوفك ، تهزم أعتى وحوش الأرض ..

التمساح يقترب ..

ـ ما التمساح إلا تلك القوة التى نتخيلها نحن فيه ..

ويقترب ..

ـ ذبابة قد تستطيع هزيمة جيوش الفرعون ..

ويقترب ..

ـ الضعف ، عين القوة ..

يفتح فكيه الواسعين .. يهجم ..

ـ هيًا ..

★ ★ ★

مياه البحيرة مازالت تحتفظ ببقايا برد الشتاء القارس ..

كان هذا انطباع (حورى) الأول عندما دفعته يد (شث) ليسقط من فوق القارب .. وكان الجنود قد حلوا الرباطين حول فكى كل من (شنك) و(سنك) .. وتأهب الاثنان للاستمتاع بفريستهما الحية ..

لحظات .. وبدأ التمساحان فى الاقتراب ..

طول كل منهما لا يقل عن الخمسة أمتار بحال ، والتماع زجاج العيون يعطى لظلام الليل وسكون المياه بعدًا مرعبًا .. لا يخلو من الإثارة ..

تقدم أحد التمساحين سابقًا قرينه ، فاتحًا فكيه عن آخرهما ، سابحًا فى اتجاه (حورى) الذى تجمد كتابوت يطفو فوق سطح المياه ..

زاد التمساح الأول من سرعته ، ولم يكن يفصله سوى أذرع معدودة عن فريسته البشرية ، ولو تسنى لأى منا أن يقف وسط الجنود الذين يشاهدون ما يجرى ، لأيقن أن (حورى) هالك لا محالة ، وأن هذا الجمود الذى يكتنفه ما هو إلا يأس المقضى عليه بالإعدام قبيل لحظات من تنفيذ الحكم ..

حتى (نفرو) أطلقت صرخة رعب ، امتزجت بضحكة (كاشتا) المجلجلة ، عندما أطبق التمساح فكيه فى قوة جعلت صوت اصطكاك أسنانه مسموعًا كأنه التقاء سيفين فى معركة ..

هتف (كاشتا) فى نشوة عارمة :

ـ رائع يا (شنك) .. هنيئًا لك بالأولى ..

فتح التمساح فكيه ، لكنه لم يكن قد أطبق إلا على المياه !

وانفجرت المياه إلى جوار التمساح عن (حورى) ، قافزًا كالدولفين ، معتليًا ظهره كأنه جواد ركوب ، فتحولت صرخة (نفرو) إلى فرح وتهليل ، وضحكة (كاشا) إلى عبوس وتجهم ، وهتف (محب) مشجعًا :

ـ رائع يا (حورى) .. هنيئًا لك بالأول !

لم ينتبه (كاشتا) إلى معارضة (محب) الساخرة لهتافه ، وأخذ يتابع ـ مندمجًا حتى التداعى ـ النزال الرهيب بين المقاتل .. والتمساح ..

شعر (حورى) بالألم فور اعتلائه لظهر (شنك) نتيجة للنتوءات العظمية المدببة التى تغطى جسمه بأكمله ، لكنه تماسك ، وتمسك بذراعيه وساعديه ويديه وأصابعه فى تلك النتوءات محاولاً أن يحافظ على توازنه .. ويبدو أن التمساح قد ثار على الوضع فأخذ يسبح آخذًا مسارات متعرجة ومنحنية محاولاً نفض (حورى) من فوق ظهره .. ولكن هيهات .. فكلما زاد من سرعته وانتفاضاته ، كلما ازداد (حورى) إصرارًا وتمسكًا وتماسكًا ، كأنه قد أصبح جزءًا منه !

بل إن (حورى) أخذ يزحف فى بطء نحو رأس التمساح المدبب، غير عابئ بأى انزلاق لحظى قد يصيبه وهو فى طريقه ..

« الضعف عين القوة » ..

أودت الثورة بـ (شنك) إلى جنونه منتفضًا بلا هوادة ، و (حورى) يتابع زحفه ، حتى قارب الوصول إلى عينيه ، وعندما أصبح قاب قوسين منها أو أدنى ، استجمع قوته فى لكمة سددها إلى عينه اليمنى ..

« ذبابة قد تستطيع هزيمة جيوش الفرعون » .

ند صوت شبيه بصرير باب يفتح من حلق (شنك) .. ثم ..

ثم استكان كقط وديع !

« ما التمساح إلا تلك القوة التى نتخيلها فيه » .

★ ★ ★

ـ لقد فعلتها يا معلم (تحوت) ! قضيت عليه برمية واحدة !!

ـ أحسنت يا (حورى) .. إنك تتعلم بسرعة !

ـ انظر يا معلم .. إنه يبكى !!

ـ إياك يا (حورى) أن تصدق التماسيح !

★ ★ ★

ـ ألقوا بالمرأة .. هيا ..

صرخ (كاشتا) فى جنوده الواقفين إلى جوار قارب الأسرى ، فسارعوا بتنفيذ الأوامر ، بينما هوى (كاشتا) بقبضته المضمومة فوق رأس التمساح المنحوت عند مقدمة القارب ، مدمدمًا كجبل يهتز :

ـ ولتر كيف سيتصرف هذا العنيد مع (سنك) ..

ورمق التمساح الآخر فى أمل وهو يناجيه همسًا بقوله :

ـ هيا (سنك) ، لا تخيب ظنى .. لقد وهبتك الضَعف !

صوت ارتطام (نفرو) بالماء بعد ما دفعها الجنود للسقوط فيه ، و (محب) يهتف محاولاً أن يبث فى قلبها طمأنينة كاذبة ، لا يمتلكها هو شخصيًا :

ـ لا تجزعى .. سيعرف كيف يدافع عنك ..

قفز (حورى) من فوق ظهر (شنك) الذى أنساه أنينه جوعه ، فطفق يذرف دموع التماسيح الزائفة ، وسبح فى الاتجاه الذى سقطت عنده (نفرو) ، لتجد نفسها فى مواجهة التمساح الآخر رأسًا ..

لا يستطيع أحد أن يجزم إذا ما كانت التماسيح تشعر ـ كالبشر ـ بالنقمة أو الرغبة فى الانتقام ، لكن أحدًا لم يستطع أن يتجاهل أن (سنك) كان يتحرك بدافع يتجاوز جوعه أو نهمه إلى فريسة .. فسرعته كانت أكبر وفكاه تباعدًا أكثر وهو يهجم على (نفرو) ، كأنه يريد أن يثأر منها لما حدث لـ (شنك) ...

وانطلقت صرخة (نفرو) حاملة أقصى مشاعر الرعب والفزع والهلع ، وهى لا ترى أمامها سوى فكين متباعدين يعجان بأسنان كثيرة حادة وغير منتظمة ، وينتهيان بجوف مظلم يحمل عنوان النهاية ..

نهايتها ككائن حىّ ..

أغلقت عينيها متوقعة أن تفتحهما مرة أخرى فى عالم الموتى الغربى ، حيث يجلس (أوزوريس) قاضيًا فى محكمة الحساب ، لكنها سمعت الارتطام ، وأحست برذاذ الماء يتناثر فوق وجهها وشعرها وملابسها المبللة ..

سارعت تفتحهما من جديد ، وفهمت على الفور أن (حورى) قد اندفع بكل ما فى جسده من قوة ، وارتطم بجانب التمساح ،

مبعدًا إياه عنها ، ودافعًا إياه لمسافة أمتار على الرغم من ضخامة هيكله التكوينى ..

كان شعور (حورى) هذه المرة بالألم هائلاً إثر ارتطامه بالنتوءات العظمية ، بالإضافة للصفائح الجامدة التى تبطن منطقة البطن ، لكنه تحامل على نفسه ، وسبح بأقصى ما تسمح له قدراته من سرعة ، وأعاد الكرّة ، فارتطم بجسد التمساح ارتطامًا أكثر قوة من سابقة ، دفع التمساح لأن ينقلب على ظهره ، لتظهر بجلاء أقدامه الأربع القصيرة الملتصقة بحواف بطنه وهى تجاهد حتى ينكفئ مرة أخرى بصورة طبيعية ..

صفق (محب) كطفل صغير ، وهتف مغتبطًا :

ـ رائع .. أنت بطل حقيقى يا صديقى ..

وافتر ثغر (حتب) عن بسمة باهتة ، بينما صرخ (كاشتا) فى جنوده :

ـ هاتوا هذا اللعين .. أمسكوا به .. لقد هزم (شنك) و(سنك) ..

اضطربت حركة الجنود ، وسارت قواربهم يصطدم بعضها بالبعض ، فلم يكن فى أعماق أى منهم ذرة شك واحدة بشأن هزيمة (حورى) المفروغ من أمرها فى معركة كهذه .. واستغل (حورى) هذا الاضطراب كأحسن ما يكون ، فسارع إلى قارب الأسرى حيث يجلس (محب) و(حتب) يرزحان فى القيود ، وفهمت (نفرو) ما يرمى إليه بفعل كهذا ، فأسرعت من فورها تعاونه فى فك الأغلال ، وإذ لاحظ (كاشتا) ما يفعلانه جن جنونه هاتفًا وصوته يأخذ نبرة هى البشاعة نفسها :

ـ سيهربون أيها الأغبياء ..

بدأ الجنود ينتبهون لما يفعله (حورى) و(نفرو) ، وبدأت صفوفهم تنتظم نوعًا وهم يتجهون إليهما شاهرين رماحهم ، فهتف بهما (محب) :

ـ فلتهربا .. اهربا الآن ..

قال (حورى) وهو يتعامل مع الحبال المعقودة بمهارة :

ـ لن أترككما ..

وأردفت (نفرو) :

ـ لقد بدأت العقد تنفك ..

هتف بها (محب) متوسلاً :

ـ رباه ! لن تستطيعا فعلها فى الوقت المناسب .. هيا ، فكرا بالعقل .. استخدم عقلك كما تعودت دومًا يا (حورى) ..

جاء صوت هتاف أحد الجنود من خلف (حورى) يردد :

ـ توقف .. توقف ..

واصل (محب) استحثاثه لهما بالفرار :

ـ هيا .. اذهبا ..

هتف (حتب) ناظرًا إلى الجنود من خلفهما :

ـ إنهم يقتربون بسرعة ..

همس (محب) محاولاً أن يبدو متعقلاً :

ـ اذهبا الآن ، وسيكون لديكما متسع من الوقت للعودة لنا .. وللعين ..

حسمت الكلمة الأخيرة الموقف ، وحكم (حورى) عقله كالمعتاد ، فجذب (نفرو) من يدها التى تعمل على حل العقد ، هاتفًا بها فى لهجة أمر صارمة :

ـ هيا بنا .. سنذهب ..

ـ ولكن ..

لم يمنحها فرصة الجدال ، وضغط بكفه على رأسها ليغوصا معًا فى قلب المياه ، فى نفس اللحظة التى استقر فيها رمح أحد الجنود فى جدار القارب الخشبى ..

وفى نفس المكان الذى كانت تشغله رأس (نفرو) .

بالضبط ..

★ ★ ★

لم نعثر على أى أثر لهما يا سمو الأمير ..

قالها (شث) وهو يشد قامته أمام مولاه ، الذى ألقى برمحه ، ليستقر فى بطن التمساح المحنط على الحائط ، وهو يهتف حانقًا :

ـ تبًا ! ذلك الفتى الأسمر اللعين !

قال (باتاو) فى لهجة لا تخلو من شماتة :

ـ قلت لك : دعه لى !

انفجر فيه (كاشتا) فى قوة كريح صرصر عاتية :

ـ أغلق فمك الأشبه ببؤرة العفن هذا ..

احتقن وجه (باتاو) ، لكن (بنتاءور) جذبه من ذراعه درءًا لأى حماقة قد يرتكبها فى الوقت الخطأ ، بينما تابع (كاشتا) قذف إهاناته فى وجهيهما :

ـ منذ جئت مع برميل القاذورات ، زميلك ، والمصائب تتوالى بلا توقف ..

بدبلوماسية شديدة قال (بنتاءور) :

ـ أعتقد يا سمو الأمير أن الأسيرين مازالا بحوزتنا ، وهذه نقطة تفوق لا ..

ـ (شث) .. اصحبنى إلى القبو .. أريد رؤية هذين الأسيرين الآن ..

واندفع كالإعصار يغادر القاعة وفى أثره (شث) ، تاركًا (بنتاءور) بصحبة (تاوى) الذى انطلق يهتف كشجاع لا يهاب أحدًا :

ـ أيها النوبى المأفون .. لسوف ..

ـ لقد ذهب يا (باتاو) !!!

نفث (باتاو) غيظه المكظوم فى زفرة طويلة ، التفت بعدها إلى (بنتاءور) قائلاً :

ـ أعتقد أن الوقت الآن ملائم للغاية لإخراج عين (أوزوريس) والفرار من هذا الجحيم !

ـ لا أعتقد هذا !

قالها (بنتاءور) وملامحه تتخذ هيئة ثعلب عجوز ، ثم تابع :

ـ سنكمل اللعبة حتى نهايتها ... فلن نخسر شيئًا على الإطلاق ، أما العين ـ فكما أسلفت لك ـ فى مكان لا يتصور إنسان وجودها فيه .. أبدًا ..

وابتسم فى دهاء ..

★ ★ ★

ـ من هذا الفتى يا (حتب) ؟!

سأل (كاشتا) دون أن يستطيع إخفاء لهفته ، ناظرًا إلى وجهى الأسيرين اللذين يبدوان كشبحين يخفى الظلام منهما أكثر مما يبين ضوء المشعل الواهى ..

ـ وماذا ستفيدك المعرفة ؟!

ـ أريد تحديه فى نزال خاص .. بينى .. وبينه !

أراد (محب) استثارة أعصابه ، فقال فى استفزاز :

ـ لقد هزم تماسيحك النيلية !

دوى صوت (كاشتا) فى حدة يقول :

ـ أنا أقوى من تماسيحى ألف مرة ..

وفطن إلى استفزاز (محب) ، فعاد يقول فى هدوء :

ـ لقد أرسلت جنودى بالفعل لإيقاظ كل أبناء القبائل الذين يغطون فى نوم عميق ، وسأقيم حلقة نزال ضخمة ـ كالتى تقام لانتخاب الحاكم ـ عند الطرف الشرقى للغابة السوداء ، وسأعلن تحدىَ لهذا الفتى ثلاث مرات حتى مطلع الفجر ..

وصمت قليلاً ليرى تأثير كلماته ، ثم استأنف قائلاً :

ـ لو لم يظهر فى المرة الأولى ، سأوقد النار فى منتصف حلقة النزال ..

ولو لم يظهر فى المرة الثانية ، سيكون (حتب) وقودًا لهذه النار ..

ولو لم يظهر فى المرة الأخيرة ، فستكون أنت جذوة النار الأخيرة ..

قالها مشيرًا إلى (محب) ، الذى ازدرد ريقه فى صعوبة ، والتفت ناظرًا إلى (حتب) ، ليلمح خيطًا من العرق يتصبب عبر صدغه ..

كان (حتب) يعلم أن (كاشتا) لا يمزح ، وأنه يتحدث عن عادات قبلية متأصلة لديهم .. وأنه لن يتوانى إطلاقًا عن الإلقاء بهما فى قلب النار إذا لم يظهر (حورى) .. فى الوقت المناسب ..

★ ★ ★

٦ ـ شلال(*) ..

حلقة من النيران فى قلب ليل النوبة ، تضىء كنجمة ..

الطبول تدق ، مع هزج الأغانى البدائية ، مع رقص طقسى تمتزج فيه ليونة الأجساد السوداء ، بأقنعة السحر الملونة ، بصراخ الدهماء ، وترفع الأفاضل .. ولا يخلو الأمر من اثنين ـ أو أكثر ـ يتقارعان بالرماح على سبيل الدعابة وإزجاء الوقت ..

لم يبق سوى القليل ، حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ..

وفجأة يصمت كل شىء .. وتتجه الأعين التى تجاهد لتطرد سلطان النوم الأحمر عنها إلى منتصف الحلقة ، حيث يقف الأمير (كاستا) رافعًا رمحه ذا القناة المزركشة والسن المدببة الحادة لأعلى ، هاتفًا بصوت ينضح تحديًا وإصرارًا :

(★) شلال : هبوط فجائى فى مجرى نهر ، يحدث عندما تلتقى فى مجراه تكوينات صلبة قاومت النحت بأخرى لينة مما يوجد حالة عدم تعادل فى المجرى ، وتزداد فى مكان الهبوط سرعة تيار النهر وقدرته على النحت ، ويأخذ فى تفتيت التكوينات الصلبة ذاتها وخفض مستوى المجرى الأعلى بالتالى ، عندئذ يتحول الشلال إلى سلسة من المسارع ثم يتلاشى أخيرًا ..

ـ باسم القوة .. راية النصر المرفوعة ، ورقيتنا ضد الهزيمة والانكسار .. واستدار مقلبًا بصره بين الجموع الواقفة كأن على رءوسهم الطير ، ثم تابع :

ـ يعلن أميركم (كاشتا) العظيم عن نزال آخر ، لا يعرف غير القوة له عنوانا ..

هلل الواقفون جميعًا وقد أخذتهم النشوة بما يقول زعيمهم الذى لا يقهر ، وسرعان ما رفع (كاشتا) رمحه مرة أخرى فعاد الصمت يلف المكان ، ثم رفع عقيرته بهتاف حماسى ألهب صدور الواقفين جميعًا :

ـ إننى أتحدى فتى من طيبة ، ربما يمنعه جبنه من الظهور .. وربما تحلى بشجاعة الفرسان فقدم روحه فداءً لصديقيه ..

وأشار إلى (محب) و (حتب) ، الواقفين فى قيودهما بين ثلة من جنوده ، فسادت همهمة تساؤل بين الواقفين ، عاد (كاشتا) يقطعها صائحًا :

ـ (كابو) !

وهنا علا الضجيج والهتاف والصفير ، وساد الهرج بين الجموع المنصتة ..

كان الجميع ـ عدا (محب) ـ يعلمون أن (كابو) تعنى فى عرف قبائلهم النوبية : التحذير الأول .. وأنه لو لم يظهر من تحداه الأمير خلال زمن محسوب ، ستوقد النيران فى قلب حلقة النزال ،

وسيرفع الأمير تحذيره الثانى ، وهنا تبدأ مشكلة الأسيرين الحقيقية ..

فلو لم يظهر الطرف الثانى فى التحدى ، ستلتهم النيران أحدهما بلا رحمة ..

وكان هذا يسعد (كاشتا) حقًا ..

إنه هنا ـ وسط هؤلاء القوم السود يشعر بسطوته ونفوذه .. بأحقيته فى الإمارة والزعامة ..

هنا يشعر بوزنه وقد تضخم عشرات المرات .

وبكل العجرفة ألقى بنظرة جانبية إلى الأسيرين ، ثم مضى ينحشر وسط الجموع متحسسًا قلادة ربطها توًا حول عنقه ..

قلادة تحمل حلية ذهبية تمثل عين (أوزوريس) .. المزيفة ..

★ ★ ★

انشقت مياه النهر ـ فجأة ـ عن رأسين بشريين برزا من القاع ، أحدهما لشاب أسمر ، والآخر لفتاة قمحية شابة ، هتفت تسأل :

ـ إلى متى سنظل نسبح هكذا ؟!

ـ حتى نجد شيئًا أفضل لنفعله !

ـ المياه باردة كالثلج ..

ـ أليست برودة الماء محتملة عن طعنة رمح ؟!

أدركت عدم جدوى حديثها ، لكنها عادت تسأل :

ـ وما هى الخطوة القادمة ؟!

ـ لن نستطيع العودة لقلعة الحامية المصرية ، لا بد أن جنود (كاشتا) قد احتلوها بالفعل ، وأكاد أراهن على أنهم ينتشرون الآن على الضفتين لمنعنا من الخروج من النهر سالمين ..

ـ لا تخبرنى أننا سنظل هنا حتى نهاية العمر !

ـ لدى عرض أفضل لكنه محفوف بالمخاطر .. فبعد حوالى المئتى ذراع يتسع مجرى النهر ، وتنتشر على جانبيه غابات متشابكة نستطيع أن نتخذها ستارًا لنا ..

متوجسة سألت :

ـ وماذا عن الحيوانات الضارية ؟!

ـ سنقبل المخاطرة .. ثم إن هذه ليست المخاطرة الوحيدة !

ـ ماذا هناك أيضًا ؟!

ـ ألم تلاحظى تسارع جريان مياه النهر ؟!

إنه محق ! كيف فاتها أمر كهذا ؟! ثم إن هذا يعنى .. رباه !

ـ أننا مقبلان على حافة الشلال الثانى نفسها !!

ـ هذا صحيح !

ـ هذا صحيح ؟! هل هذا كل ما استطعت قوله ؟! إنك ربما تصطدم بالصخور و ..

ـ ليس أمامنا إلا أن نأمل خيرًا ، ونرجو الخروج من هذه المصيدة اللعينة بأقل خسائر ممكنة .. وها نحن أولاء قد شارفنا على الوصول للمنحدر ..

رفعت بصرها لتبصر النهاية المبتورة لمجرى النهر ، وصك سمعها صوت المياه المنهمرة فوق الصخور السفلية ، كصوت الموت نفسه ..

ومع اقترابهما الشديد، كان لا محالة من السقوط ..

وهوى الاثنان إلى أسفل ، وكل ما يحملانه من دفاع ضد صخور الشلال البارزة ، الأمل فى الخروج بأقل خسائر ممكنة ..

وردد وادى النيل كله ، صرخة (نفرو) المرتعبه ..

ممتزجة بهدير مياه الشلال المتساقطة دون توقف ..

★ ★ ★

جرح ينزف بطول ذراع (حورى) الأيسر ، وبعض الرضوض البسيطة .. نتيجة مبهرة إذا ما قارناها بموت محقق لا مفر منه ..

وهوى الاثنان إلى أسفل ، وكل ما يحملانه من دفاع ضد صخور الشلال البارزة ، الأمل فى الخروج بأقل خسائر ممكنة ..

جسدان مستلقيان عند حافة النهر ، لم يرد القدر لروحهما أن تفارقا الدنيا بعد ..

ـ إنك تنزف !

لم يتأوه .. لم يرسم الألم أدنى تغير فى ملامح وجهه وانفعالاته الجامدة ، دنت منه (نفرو) متفحصة ، ثم تنهدت باطمئنان قائلة وهى تتحسس الجرح :

ـ لحسن الحظ ، ليس غائرًا !

ـ نتيجة مبهرة إذا ما قارناها بموت محقق لا مفر منه !!

خلعت الحزام الذى تربط به خصرها ، فسألها :

ـ ماذا تفعلين ؟!

ـ دومًا تنسى أننى طبيبة ..

وبعد تطهير الجرح بالمياه ـ الشىء الوحيد المتوفر لأمر كهذا ـ بدأت فى ربط ذراعه بعناية لا تنقصها المهارة .. ثم سألت :

ـ ماذا ستفعل الآن ؟!

شعرت بعضلاته تتحفز ، وبتركيزه يتوجه لنقطة ما خلف ظهرها .. التفتت إلى الخلف ، لكنها لم تبصر سوى تلك الشجيرة الصغيرة المتربعة فى سكون ، ثم عادت تنظر إليه من جديد .. وصرخت فى رعب هائل ..

★ ★ ★

اشتعلت بؤرة النيران فى قلب حلقة النزال ..

لقد انقضت الفترة المحددة للإنذار الأول ، وجاء ميعاد الثانى ..

صرخ (كاشتا) رافعًا رمحه ، كأنه يريد أن يطاول به عنان السماء :

(دونجى) !

وهلل له الحشد المتزايد من أبناء القبائل ما بين تصفيق حار ، وصفير متواصل .

وهتاف حماسى باسمه ، يمجد سلطانه ، ويبارك خطاه ..

ثم دقت إيقاعات الطبول ، وعاد الرقص والغناء يبددان سكون الليل الهاجع .. وبكل النشوة والطرب ، أخذ (بنتاءور) يتراقص فى حركات مضحكة غير منتظمة ، وهو يعبّ الجعة من قدح فى يده ، وتعالى صياحه وسط الضوضاء :

ـ قادمون غدًا يا طيبة !

ثم شعر بكف تضغط كتفه من الخلف ، و(باتاو) يهتف به :

تمالك نفسك قليلا يا (بنتاءور) ..

ضحك (بنتاءور) لسبب لم يعرفه هو نفسه ، ثم تحامل على ذراع (باتاو) ، وأشار إلى (كاشتا) المتبختر بين رعيته كطاووس مغرور :

ـ انظر يا صديقى إلى ذلك الوغد المتغطرس ، كفقاعة متضخمة ، انظر إلى قلادته المزيفة التى يظن أنها ستجلب له النصر الأكيد ! يا له من مسكين !

وعاد يضحك فى هستريا ، و (باتاو) يتلفت حوله مستريبًا ، ليرى إن كان هناك من يلقى إليهما سمعه ، ثم عاد يهتف بـ (بنتاءور) محتدًا :

ـ ستفضح أمرنا أيها اللعين !

دارت الخمر برأس (بنتاءور) ، فهتف وعيناه تلمعان :

ـ إنها ليلتنا الأخيرة قبل الوصول للعرش يا صديقى .. لنرقص.. لنغنّ .. لنفرح .. فما زلنا نملك القوة الغالبة .. مازالت العين معنا !

هوى ساقطًا بين ذراعى (باتاو) ، ولحسن حظه لم يسمعه أحد !

★ ★ ★

أدركت (نفرو) الأمر فجأة ، عندما أبصرت قبضة (حورى) وهى تعتصر عنق ثعبان سام ، من فصيلة تعرفها جيدًا ..

احتبست الكلمات فى حلقها ، وهى ترى الثعبان يجاهد للإفلات ، وترى قطرات من سمه الزعاف تتساقط من لسانه على الأرض الطينية .. و (حورى) يبذل أقصى ما لديه من قوة ـ مع ذراعه الجريح ـ حتى يتجنب ملامسته للسانه ..

فملامسته للسان لا تعنى إلا الموت السريع ..

ـ ابحثى عن أى حجر واضربى رأسه مباشرة ..

أفاقت من جمودها ، وأخذت تمعن النظر فيما حولها ، لكنها لم تعثر على أى شىء يصلح للقضاء على ثعبان . لا شىء سوى الطين المبلل ، والشجيرات الصغيرة ..

فح الثعبان ، وزاد (حورى) من ضغط أصابعه حوله ـ وهو يضغط على أسنانه ـ فى قوة .. ونهضت (نفرو) محاولة التغلب على خوفها وارتباكها باحثة عن حجر يصلح لمهمة سحق رأس ثعبان ..

لكنها لم تعثر على أى شىء ، وزاد الظلام المخيِّم الأمر سوءًا ، وأحس (حورى) أن قواه توشك على النفاد .. وأن الثعبان سيفلت ليلدغه لا محالة ..

وفجأة ، أصاب حجر رأس الثعبان ..

حجر مصوب بدقة من مكان ما ..

وسقط الثعبان مضرجًا فى دمائه ، والتفت (حورى) ثم (نفرو) نحو المكان الذى أتى منه الحجر ، ليبصرا شبحًا فى الظلام يقترب منهما ..

ومع اقترابه بدأت ملامحه تتضح شيئًا فشيئًا ..

كان كهلاً يحمل ملاءة معقودة على كتفه ، ملامحه الأشبه بالبقايا البشرية ، غائرة عبر التجاعيد التى حفرها إزميل الدهر فى وجهه..

عيناه فقط كانتا تشعان بالحياة ..

هل نذكره ؟!

نعم .. إنه (كيكى) .. الساحر المسن ..

★ ★ ★

قال الضابط (حتب) ، وهو يرمق الكرنفال البدائى الذى يمتزج فيه الصخب بالجنون ، مخاطبًا (محب) الذى بدا هادئًا واثقًا ، بل مبتسمًا كأنه ليس على شفا هلاك محقق .

ـ لقد تأخر (حورى) !

هز (محب) كتفيه قائلاً فى بساطة :

ـ ربما لم يبلغه النبأ بعد ..

محاولاً كبت شعوره بالرهبة ، قال (حتب) مراقبًا ألسنة اللهب التى تعلو لتناطح سحب السماء :

ـ بقى القليل حتى إعلان الـ (سيرا) ..

وقال مفسرًا دون أن ينتظر سؤال (محب) :

ـ (سيرا) فى لعنتهم الشعبية هو الإنذار الثالث ، ويعقبه إلقاء إحدى الضحيتين فى دائرة اللهب هذه ..

ثم أغلق عينيه مستبشعًا فكرة أن يشوى حيًّا ، لكن صوت (محب) أتاه يحمل ثقة تكفى الدنيا ومن فيها :

ـ لا تقلق .. سيفعلها (حورى) فى الوقت المناسب تمامًا ..

واتسعت ابتسامته ..

★ ★ ★

فرد (كيكى) ملاءته الرثة المتسخة أمام (حورى) و (نفرو) ، وطفق يعبث بألعابه الصغيرة ، و (حورى) يهز رأسه استسخافًا وهو يقول :

ـ لولا أننى أدين لك بحياتى ، لما أضعت لحظة واحدة فى هذا العبث ..

أتاه صوت (كيكى) ألواهن اللزج :

ـ صدقنى ، لن تندم ..

وسألته (نفرو) فى حب استطلاع :

ـ ماذا ترى أيها العراف ؟!

ـ الكثير ..

وأضاءت عيناه أكثر وهو يتابع مشيرًا إلى (حورى) :

ـ غريمك ينتظرك عند النار .. عند مدخل غابة يلطخها السواد ..

عقد (حورى) حاجبيه مغمغمًا :

ـ الغابة السوداء ..

ـ نيرانه قد تلتهم خليلك .. لكن النصر ـ فى النهاية ـ حليف الأقوى ..

اتعقد حاجباه أكثر وهو يهتف لنفسه :

ـ (محب) .. و (حتب) ..

ثم نهض يركض ، ولحقته (نفرو) وهى تنادى باسمه فلا يجيبها ، بينما ندت عن (كيكى) ضحكة خافتة أشبه بحفيف ورق الشجر ، فى يوم عاصف ..

★ ★ ★

وقف (كاشتا) فى منتصف حلقة النزال ..

ساد الصمت المطعم بالترقب ، واللهفة ، والفضول ..

كاد (حتب) ينتفض تحت وقع ضربات قلبه المتسارعة ..

فقد (محب) بسمته الواثقة ، وبدأ القلق يزحف إلى دواخله ..

صفق (بنتاءور) وحده كالمعتوه حتى أوقفه (باتاو) عنوة ..

علت النيران أكثر عندما ألقى فيها الجنود بمزيد من القش والحطب ..

مد (كاشتا) رمحه ، مقربًا السن المعدنية من النيران المتزايدة ، كأنه يتلاعب بأعصاب الجميع ، ويشوقهم لمعرفة ما سيحدث ..

وعندما احمرت سن الرمح ، رفعه (كاشتا) لأقصى ما يستطيع ذراعه المتين أن يرفعه ، وصرخ فى قوة لا ينافسه أحد فيها :

ـ (سيرا) !

علا صياح الجمع الغفير حتى كاد يصم أذنى (محب) بينما اتسعت عينا (حتب) فرقًا وقد أدرك أن هلاكه قد أصبح حتميًا .. خاصة وأن الجنود قد بدءوا فى فك قيوده بالفعل !

★ ★ ★

(حورى) يهرول بين حشائش وأغصان الغابة المتشابكة ، يلهث من فرط الجهد المبذول ، يجاهد لئلا يصطدم بجذع شجرة أو يتعثر فى حجر مختفٍ ..

ـ (حورى) .. انتظر ..

(نفرو) تعدو خلفه بكل قوتها ، لكنه لا يمنحها فرصة إدراكه ..

ـ لن تستطيع مجابهة أحد وأنت بهذه الإصابة .. لقد نزفت كثيرًا ..

ـ لتبقَىْ أنتِ هنا إذا أردت ..

يواصل الركض كفهد سريع ، وهى ما زالت تهتف من ورائه :

ـ انتظر يا (حورى) .. سوف ..

وانطلقت صرختها المميزة .. وتوقف (حورى) عن الركض ليرهف السمع ، فسمع صوت ارتطام شىء ما .. بشىء آخر !

لم يكن هناك وقت ليضيعه ، فتقهقر راكضًا ليرى (نفرو) ، وبعد عدة خطوات فهم الأمر .. لقد سقطت فى شرك حفره صياد ماهر ليوقع بأحد الحيوانات التى ترعى فى الغابة داخله .. وأخفاه ببراعة بين الحشائش ..

هتفت به (نفرو) من قاع الشرك ، مادة إليه كفها :

ـ أخرجنى من هنا يا (حورى) .. بسرعة ..

التفت (حورى) مرهفًا سمعه إلى هتاف جماهير عريضة يأتى من بعيد ..

وأيقن أن الخطر يحدق بـ (حتب) و (محب) اللذين ينتظران عودته ..

ثم عاود الالتفات إلى (نفرو) التى هتفت به من جديد :

ـ هيا يا (حورى) .. إلىّ بكفك ..

وحسم أمره ..

★ ★ ★

الإيقاعات المصحوبة بأناشيد الموت الدموية ..

(كاشتا) ـ ما زال رافعًا رمحه ـ يهتف :

ـ قربان النار .. منها وإليها .. وبها ..!

(حتب) ينتفض متلويًا ، والجنود يكبلون يديه وساقيه بأيديهم الفولاذية .

يصرخ فيهم ـ من منطلق ما نسميه بـ (حلاوة الروح) :

ـ اتركونى أيها الأوغاد .. أيها الملاعين ..

كأنهم سيتركونه بالفعل إذا ما صاح فيهم هكذا !

يتلفت (محب) حوله منتظرًا أن يبرز (حورى) فى أى لحظة ، ما زال يتشبث بأمله حتى والنار قد أصبحت أقرب لـ (حتب) من حبل الوريد ..

لفحت النيران وجه (حتب) الذى واصل صياحه هباءً وعبثًا ، بينما صاح (كاشتا) متحسسًا عين (أوزوريس) المستقرة فوق صدره الأسود العريض :

ـ يموت الصديق ضحية لجبن صديقه !

انتظر الجنود إشارة البدء لكى يلقوا بـ (حتب) فى النار ..

والإشارة المعهودة هى الهبوط بالرمح المرفوع ..

مرت ثانية بلغت فيها إثارة المشاهدين ذروتها ..

حتى هوى (كاشتا) برمحه مؤذنًا ببدء إلقائه ..

ولكن ..

ـ انتظروا هأنذا ..

لم يعرف أحد أين المصدر الفعلى لهذا الصوت ، إلا عندما انحسر الجمع المستدير عن ثغره ، وقف فيها (حورى) عاقدًا ساعديه أمام صدره ، هاتفًا فى اعتداد والنيران تتراقص فوق ملامح وجهه السمراء :

ـ جئت من أجلك يا (كاشتا) ..

وكان رمح (كاشتا) قد توقف فى منتصف رحلة هبوطه ..

وأخذ (حتب) يلهث غير مصدق أنه نجا من الاحتراق ..

فى اللحظة الأخيرة ..

* * *

٧ ـ نزال ..

تتسلل بشائر فجر رمادية ، زاحفة على عباءة الليل ، مبددة سوادها القاتم ، ومُنبئة بقرب شروق شمس يوم جديد ..

لكن المشاعل مازالت مضاءة ، والنيران فى مركز حلقة النزال ما زالت تتعالى إلى أعنة السماء ، والطبول ما زالت تدق فى إيقاعها المتسارع ، وسط غناء القبائل والهرج الذى بلغ أوجه بظهور (حورى) ..

ـ ألم أقل لك إنه سيظهر ؟! وفى الوقت المناسب ؟!

سأل (محب) (حتب) الذى عاد به الجنود ليقيدوه مرة أخرى ، فأجاب هذا الأخير فى مسحة تشاؤمية :

ـ بلى .. ولكن العبرة بالخواتيم !

لم يحس (محب) ـ عبر حياته القصيرة ـ بأنه سعيد مغتبط كما هو الآن ، لذا لم يكن مستعدًا لتقبل أى كلمة تنقص من هذه السعادة ذرة واحدة ، فهتف بـ (حتب) متحمسًا :

ـ تابع ، وسترى بنفسك ..

وسدد نظره إلى قلب الحلقة ، لكنه تذكر فجأة أمرًا مهمًا ، فسأل نفسه مغمغمًا :

ـ ولكن ، أين (نفرو) ؟!

وأخذ يجول بعينيه عبر الواقفين عله يراها .. ولما لم يلمح سوى الوجوه النوبية السمراء ، قال لنفسه : إنها ربما تقف بينهم فى الصفوف الخلفية ، وعاد يرمق حلقة النزال فى حماس حيث يقف (كاشتا) فى مواجهة (حورى) ..

ـ لقد جاء ليلقى حتفه ..

هتف (بنتاءور) المخمور ضاحكًا وهو يصب لنفسه قدحًا آخر من الجعة ، لكن (باتاو) سأله متشككًا :

ـ ومن أدراك ؟!

وجم (بنتاءور) لحظة ، وحاول أن يركز فيما يقول (باتاو) ، سائلاً إياه :

ـ ماذا تعنى ؟!

أشار (باتاو) إلى (حورى) قائلاً :

ـ هذا الشاب قد هزم تمساحين عملاقين ..

فى ثقة ممزوجة بضحك المخمورين قال (بنتاءور) مشيرًا بسبابته علامة النفى :

ـ كلا .. كلا .. لا أظنه سيهزم هذا التمساح الثالث ..

هز (باتاو) كتفيه قائلاً :

ـ أتعشم هذا .. فهزيمته للتمساح الثالث ستقوده حتمًا نحو الرابع !

وجم (بنتاءور) مرة أخرى ، وشعر بأن دوار الخمر قد تطاير عبر صلعته اللامعة ، بينما أضاف (باتاو) فى حسم :

ـ والأخير ..

(كاشتا) و(حورى) يقفان فى منتصف حلقة النزال ، أمام النيران الملتهبة التى تظهرهما كظلين أسودين من السلويت ، كأنهما يقفان فى الدرك الأسفل من الجحيم ..

ـ لتذكر جيدًا أيها الطيبى .. الأبقى هو الأقوى ..

صاح (كاشتا) بنبرة ملؤها البأس الشديد ، ولم تقل نبرة (حورى) بأسًا وهو يقول ممسكًا برمح بدائى لجندى من جنود (كاشتا) :

ـ سنرى يا (كاشتا) .. سنرى ..

وكالصاعقة ، هوى (كاشتا) برمحه فى اتجاه رأس (حورى) ، صارخًا صرخة شرسة ارتجفت لسماعها قلوب الواقفين ، لكن (حورى) كان الأسرع باستقبال الضرب على قناة رمحه ، ليدوى تلاحم الرمحين ، ويشعر (حورى) بألم هائل فى ذراعه المصاب ـ إثر سقطة الشلال ـ موقتًا فى أعماقه بقوة غريمه الرهيبة ..

وارتفع هتاف الملتفين حولهما تهليلاً وتصفيقًا ، وهتافات حماسية كلها تشد من أزر (كاشتا) ، وتحقر (حورى) وتتوعد بمصيره الأسود كريش الغراب ..

التحم الرمحان فى ضربات كثيرة ، كانت كلها هجمات مباشرة شديدة القوة من (كاشتا) ، ودفاعات ماهرة مدروسة من (حورى) الذى شعر فى كل مرة يتلقى فيها ضربة الرمح على قناة رمحه بعضلاته تتمزق ، وبجرحه يستحيل نارًا تكوى ذراعه بلا هوادة ..

كان الواضح أن (كاشتا) هو الأقوى حقًا ..

ووضح كذلك أن كفته هى الراجحة فى هذا النزال ..

وأن هزيمة (حورى) مسألة وقت ..

فمتى فقد قدرته على الدفاع المستميت ، فسيفقد معها آخر حبل يمتد بينه وبين حياته نفسها ، فـ (كاشتا) لن يتركه ..

(كاشتا) يقتل غريمه فى أى نزال ، هذا ديدنه وعهده ..

ما زال (حورى) يدافع بكل ما فى جسده المكدود من بقايا عزم وإصرار واحتمال ، أمام ذلك الهرم البشرى الذى لا يضع نصب عينيه إلا كيفية النيل من غريمه بأى وسيلة ..

غمغم (محب) وهو يرى (حورى) يفقد السيطرة على ميزان الصراع ، ويتراجع أمام تقدم (كاشتا) نحوه :

ـ تماسك يا (حورى) .. أنت أملنا الأخير ..

تعالت الصيحات المهللة ، و (كاشتا) يزيد من ضغطه على (حورى) ، ويزيد من قوة ضربات رمحه ، صائحًا صيحة قتالية مرعبة مع كل ضربة ..

ثم فقد (حورى) رمحه !

بضربة أودعها (كاشتا) كل قوته ، أطارت رمح (حورى) وألقته فى قلب اللهب ، بل وأطارت (حورى) نفسه ليسقط على بعد شبر واحد من النار الموقدة ، فيلفح صهرها الشديد وجهه وذراعيه ..

تعالت الصيحات أكثر وأكثر ، وابتسم (كاشتا) بسمة ذئبية ظافرة وهو يتقدم شاهرًا رمحه فى بطء الصياد الذى أيقن من إصابته لفريسته فلن تستطيع بعدها حراكًا ، وتحولت بسمته إلى ضحكة مجلجلة وهو يقول :

ـ خسرت أيها الطيبى ..

ثم توقف أمامه بالضبط ، مباعدًا بين ساقيه ، قابضًا على قناة رمحه بقوة أكبر ، قائلاً فى تشفٍ :

ـ وكما أسلفت .. فالأبقى هو الأقوى ..

ورفع رمحه إلى أعلى تقدمة لأن يهوى به مخترقًا رأس (حورى) ..

و (حورى) جالس بلا حراك ، قابض بكفيه على تراب الأرض ..

وأصوات يعرفها جيدًا تدور أصداء بعيدة فى أعماق ذاكرته ..

* * *

(تستطيع القضاء عليه ، وحدك) ..

(اهزم خوفك ، تهزم أعتى وحوش الأرض) ..

(لا تدع خصمك أبدًا يتنبأ بحركتك المقبلة) ..

* * *

موجة صياح عارمة ، سرت بين الجموع المشاهدة ، عندما هوى (كاشتا) برمحه على رأس (حورى) دون أن يهتز له طرف ..

ثم موجة شهقات ذاهلة ، عندما انغرس الرمح فى تراب الأرض ، دون حتى أن يمس جلد (حورى) ..

كل ما استطاعت شبكيات عيون الواقفين تسجيله ، هو انزلاق (حورى) محتملاً بكفيه على الأرض .. من بين ساقى (كاشتا) ، ثم نهوضه فى لمح البصر ، ودفعه لـ (كاشتا) ـ من خلف ظهره ـ فى بساطة ويسر ، فسقوط هذا الأخير منكفئًا على وجهه ، وقد أحرقت النيران ذراعه الأيمن ـ إذ هوت فى الأتون المستمر ـ فصرخ صرخة ألم عنيفة ..

اتسعت عيون الجميع .. و (حورى) ينتصب أمام (كاشتا) الملقى على الأرض كهضبة جغرافية ، قائلاً فى جمود :

ـ ليس الأبقى دومًا الأقوى يا سمو الأمير ..

تحامل (كاشتا) على نفسه واقفًا من جديد ، ملتقطًا رمحه الساقط بيده اليسرى ، ثم استدار يواجه (حورى) هاتفًا فى حقد مشتعل :

ـ لقد أحرقت ذراعى أيها الوغد ..

رفع (حورى) ذراعه الأيسر المصاب ، والمضمد بحزام (نفرو) ، قائلاً :

ـ هكذا تتوازن القوى ..

اندفع (كاشتا) كثور هائج مسددًا رمحه إلى بطن (حورى) ، وهو يهتف :

ـ ستدفع ثمنها حياتك ، ثم حياة رفاقك .. وربما حياة وطنك بأكمله !

قفز (حورى) متنحيًا عن طريق رمحه ، فأصاب به الهواء ، وتوقف يلهث صارخًا فى ألم من جديد ، بينما قال (حورى) مستفزًا إياه :

ـ هل أنت واثق مما تقول ؟!

استدار (كاشتا) يواجهه لاهثًا كأسد جريح ، كان (حورى) يعلم أن ذراعه تؤلمه إلى حد يمنعه من التفكير ومن القتال ، وكان يرغب فى استغلال هذه النقطة فى صالحه ..

وتكررت الهجمة مرة أخرى بحذافيرها ، لكن (حورى) إذ وجد نفسه مواجهًا لظهر (كاشتا) ، أسرع بالقفز فوقه والتعلق بظهره ، ثم وضع راحتيه فوق عينى (كاشتا) مانعًا إياه من الرؤية ..

ولم يسع الواقفين إلا أن يضحكوا ، وكان هذا يزيد من حدة غضب (كاشتا) فيزداد تخبطه ، وسقط رمحه من يده ، ثم زمجر بكلمات غير مفهومة .. حتى هوى فى النهاية ساقطًا على الأرض وسط التهليل الذى تحول من الحماسة إلى السخرية !

وأسرع (حورى) يلتقط رمحه الساقط بعيدًا ، ويسدده نحو رأسه ، فعاد الوجوم يسود بين الواقفين ، والذهول يستبد بهم ، فمن منهم توقع هذه النهاية المؤسفة للزعيم الأوحد المغوار ؟!

كان الأمر عصيًا على التصديق ، حتى وهم يرونه بأعينهم المجردة ..

سقط (كاشتا) .. يا للقدر الساخر العربيد !

ـ هيا .. أجهز علىّ بلا تأخير ..

ثبت (حورى) الرمح على فروة رأسه ، وقال فى شهامة :

ـ كلا .. أنا لا أقتل ضحاياى ..

هلل الواقفون وصفقوا ، وهتف (محب) فى انبهار :

ـ رائع يا (حورى) .. أنت لا تخيب ظنى إطلاقًا ..

ثبت (حورى) الرمح على فروة رأسه ، وقال فى شهامة :
ـ كلا .. أنا لا أقتل ضحاياى !!

ـ هل اقتنعت الآن بأن الأقوى ليس دومًا الأبقى يا سمو الأمير .. السابق ؟!!!

قالها (حورى) ثم التفت إلى المهللين دون أن يسأل نفسه عن سبب تهليلهم أو حتى عن معناه .. فربما تخلصوا من ربقة الظلم المربوطة قيدًا فى أعناقهم .. ربما هم يهللون لأى فائز حتى لو كان أسدًا قتل إنسانًا .. تتساوى المحصلة .. كان يبحث بعينيه عن هدف محدد وسط الجمع المحتشد ..

بلفظ أدق : عن هدفين ..

عرفهما على الفور من وجهيهما اللذين يعتريهما الشحوب .. فنهاية (كاشتا) تعنى نهايتهما بالتالى ..

(بنتاءور) .. و (باتاو) ..

خطا نحوهما خطوتين .. ثم ..

ـ احترس يا (حورى) ..

ولكن .. هل جاء تحذير (محب) متأخرًا .. ؟!

★ ★ ★

(لا تدع خصمك يمتلك زمام المفاجأة ..

أبدًا ..)

★ ★ ★

يأبى المارد أن ينهزم بهذه السهولة ..

فينهض كالعنقاء من تحت الرماد ..

كل ما شعر به (حورى) هو ارتطام صخرة حجرية بظهره .. دفعته للأمام ساقطًا بين الجموع الملتفة حول حلقة النزال ..

لقد نهض (كاشتا) مرة أخرى ..

ويبدو ـ واللهب خلفية لوقفته الصلبة ـ كشيطان أسود ..

هتف بكل غضب الكون :

ـ (كاشتا) لا يسقط أبدًا .. حتى بعد أن يفقد ذراعه ..

نهض (حورى) فى صعوبة محتملاً على السواعد الممتدة لمساعدته ، ولم ينطق بحرف وهو يتابع (كاشتا) بعينيه ..

رفع (كاشتا) قبضته اليسرى قائلاً :

ـ سأهزمك بقبضتى هذه .. وحدها ..

ثم أردف وهو يلتف حول (حورى) مناورًا :

ـ وما زال الأبقى هو الأقوى يا فتى طيبة ..

واندفع نحو (حورى) ، والأرض تهتز تحت دبيب قدميه الثقيلتين ، وعيون الواقفين تتسع حتى كادت تغادر محاجرها ..

لكن (حورى) كان يضمر أمرًا يضمن به نهاية الصراع .. لقد تنحى عن طريق (كاشتا) .. الذى أبى عقله أن يعى الدرس .. فاندفع هذا الأخير إلى قلب النار مباشرة ..

وردد فجر النوبة صراخ إنسان يحترق ..
تمامًا ..

★ ★ ★

القاعة الفسيحة بقصر (كاشتا) ..
نور النهار يتسرب عبر النافذة الوحيدة ..
(محب) و(حورى) و(حتب) يقفون أمام عرش (كاشتا) الراحل ..
ـ لقد قبلت التحدى ..
قالها (محب) فى ثقة ، فعقد (حورى) ساعديه أمام صدره قائلاً :
ـ فليكن .. سأعد حتى الخمسين سرًا .. وإذا لم تعثر عليها سأنفذ ما هددت به ..
ـ سأعثر عليها ..
ـ لقد بدأت العد !
ضرب (حتب) كفيه فى حيرة وهو يقول متعجبًا :
ـ لا أدرى كيف تستطيعان اللهو وكنا على حافة الهلاك منذ ..
ـ ش ش ش ش .. لا تشوش على تفكيرى ..
أسكته (محب) ثم استغرق فى التفكير وهو يتفحص بعينيه كل أنحاء القاعة .. ثم إنه سأل نفسه مغمغمًا :

ـ ترى .. أى الأماكن أصلح لإخفاء عين (أوزوريس) ذهبية ؟!
فرقع بأصبعيه الإبهام والسبابة ، وأشار إلى العرش قائلاً :
ـ هذا أنسب الأماكن ..
لم يجبه (حورى) نفيًا أو إيجابًا ، فسارع يتقدم من العرش ، متفحصًا جوانبه بعناية ، ورافعًا قاعدته علّه يجد الحلية تنتظره بالأسفل ..
ولكن خاب مسعاه .. فنظر إلى (حورى) قائلاً فى خجل :
ـ ليس هنا ..
ـ لقد انتهيت من الخمسين عدًا ..
حدق (محب) إلى نقطة ما خلف ظهر (حورى) ولم يرد .. فتابع (حورى) :
ـ سأضطر إلى تنفيذ اتفاقنا ..
قال (محب) دون أن يرفع بصره من النقطة التى يحدق فيها :
ـ لا أعتقد هذا .. لقد عرفت مكانها بالفعل ..
التفت (حتب) نحو تلك النقطة ، وفهم ـ تقريبًا ـ ما يعنيه (محب) ..
أما (حورى) فقد أيقن أن (محب) قد نجح فى تخمين المكان الصحيح ، الذى أخفى فيه (بنتاءور) و(باتاو) الحلية المقدسة ، وأخبراه به وحده قبل أن يقيدهما فى القارب الذى سيقلهم جميعًا إلى طيبة ..

واتجه (محب) إلى التمساح النيلى المحنط المعلق على الجدار ، ومد يده داخل فكيه المفتوحين ، ولم يخرجها إلا بعد ما علقت بها الحلية المطلوبة ..

عين (أوزوريس) الذهبية ..

الحقيقية ..

ـ ذكاء أحسدهما عليه .. إنه آخر مكان يخطر ببالى شخصيًا ..

قالها (حتب) مبهوتًا ..

ـ تمساح نيلى محنط فوق جدار !!

رددها (حورى) كالمخاطب نفسه ، بينما لوح (محب) بالحلية قائلاً :

ـ هكذا أربح أنا ..

سألهما (حتب) مستفهمًا :

ـ تربح ماذا ؟! علام اتفقتما ؟!

قال (محب) فى لهجته المصبوغة بألوان المرح الزاهية ، دون أن يعرف (حتب) إذا ما كان يهزل أم يتحدث بجدية :

ـ وقعت زميلتنا الثالثة فى شرك صياد بالغابة السوداء ، واتفقنا أنا وزميلى إذا ما عرفت بمفردى مكان الحلية فى القاعة أنقذناها وعدنا بها .. وإذا ما أخفقت ، سنتركها تواجه مصيرها وحيدة !!!

★ ★ ★

ـ هل تمزح ؟! وماذا لو كنت أخفقت حقًا ؟!

وجهت (نفرو) سؤالها الغاضب إلى (محب) المستند بمرفقيه إلى حاجز القارب الكبير الذى يقلهم عبر النيل فى طريق العودة إلى طيبة ، فهز (محب) كتفيه وقال مداعبًا كعادته :

ـ كان (حورى) سيربح طبعًا !

حولت بصرها إلى (حورى) المسترخى تمامًا ساندًا ظهره إلى حاجز القارب ، قائلة بلهجة تستشيط غضبًا :

ـ هكذا يا (حورى) ؟! أهذا جزائى أن داويت جرحك ؟! ألم يكفك تركى وحيدة فى قاع الشرك ، دون حتى أن تمد لى يد العون ؟!

قال (حورى) بعقلانية ، قاصدًا امتصاص غضبها :

ـ بشأن المداواة فالشكر واجب .. وبشأن الرهان فقد كان محض دعابة بيننا ليس أكثر .. أما بشأن تركى لك فى قاع الحفرة ، فثانية واحدة صنعت فارقًا رهيبًا ، وأنقذت (حتب) كبير ضباط حاميتنا فى النوبة من الموت حرقًا .. هذا كل شىء ..

أراد (محب) أن يثير عصبيتها ، فقال فى استخفاف :

ـ ثم إن زعمت أنك مقاتلة من الدرجة الأولى .. وهل تعجز مقاتلة من أى درجة كانت عن تسلق حفرة صنعها صياد بسيط ؟!

احمر وجهها غيظًا ، وأدارت لهما ظهرها قائلة فى عناد :

ـ كانت الحفرة عميقة جدًا !

مستفزًا إياها للنهاية قال (محب) هامسًا :

ـ أم لعلك خشيت أن تتسخ ملابسك ؟!

هبت فيه كعاصفة نارية قاتلة ، بالأحرى صائحة :

ـ كف عن مضايقتى يا صاح ..

ثم هتفت فيهما بغضب :

ـ وسأطلب ألا أرافقكما فى المرات القادمة .. ما دمتما على هذا القدر من الاستخفاف بى وعدم التعاون معى ..

لزم (حورى) الصمت لئلا يشتعل الموقف أكثر ، بينما آثر (محب) إخماد النار بإلقاء الماء فوقها ، وما دمت تريد إرضاء امرأة ، فلا توجد سوى طريقة واحدة مضمونة المفعول ..

ـ أتعلمين أنك تبدين جميلة حقًا وأنت غاضبة ؟!

تحولت حمرة الغيظ إلى ورد ربيعى تفتح على وجنتيها ، وتحول الصوت الزاعق المحتد إلى همس موسيقى حالم ، يقول غير ما يضمر :

ـ لا تغير الموضوع !

هز (حورى) رأسه قانطًا ، ولسان حاله يسأل عما اقترفته يداه ليكون هذان هما زميلاه اللذان اختارهما كهان (لوتس)

ليشاركاه العمل .. وأدار رأسه عنهما منشغلاً بالتفكير ، لكنه لم يجد شيئًا يفكر فيه !

كان يود أن ينال قسطًا من النوم ، لكنه يعرف أنه لن يفعل حتى يعود ، ولن يعرف النوم لعينيه طريقًا إلا عند الإحساس الكامل بالأمان ، فى أحضان جبل طيبة الغربى ..

شخص ببصره إلى حافة القارب حيث (باتاو) و(بنتاءور) المقيدان إلى الصارى ، وفوقهما شراع عريض مفرود يدفع القارب بقوة الريح ، وكانا ما يزالان فاقدى الوعى ..

ثم مد أصابعه يتحسس شيئًا ما بين ملابسه ، واطمأن لوجود العين الأصلية تحت طياتها بأمان .. أما العين المزيفة ، فلا بد أن النيران التى أحرقت (كاشتا) ، قد صهرتها هى الأخرى ..

وتنهد فى عمق ..

لقد تمت المهمة بنجاح كامل ..

وبلا خسائر فادحة ..

وكان هذا يرضيه ، إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

٨ ـ أسرار ..

دلف (تاوى) مسرعًا إلى قاعة الوزير (سيتى) هاتفًا فى انفعال :

ـ لقد فعلوها ثانية ، سيد (سيتى) .. لقـ ..

احتبست الكلمات فى حلقه وهو يقف متسمرًا أمام الوزير (سيتى) ، محدقًا فى شخص يجلس إلى جواره ، رياضى البنية ، أسمر سمرة جنوبية ، ملامحه مصرية طيبة أصيلة ، أشار إليه الوزير (سيتى) قائلاً على سبيل التعارف :

ـ الأمير (تحتمس) بنفسه يا نائبى العزيز ..

انحنى (تاوى) فى مهابة ، قائلاً بصوت خفيض :

ـ أعلم هذا قطعًا ..

افتر ثغر الأمير (تحتمس) عن بسمة محببة ، وقال لـ (تاوى) :

ـ إذن ، فجنود (لوتس) قد حققوا نجاحًا جديدًا يا سيادة النائب (تاوى) ..

تدخل (سيتى) معلقًا ، قبل أن يتحدث (تاوى) :

ـ لقد أبلى (تحوت) بلاءً رائعًا مع جنوده ، وبرع فى تنفيذ فكرته على أحسن ما يكون .. وها هى ذى الفكرة تؤتى ثمارها كأنضج ما تكون الثمار ..

هز (تاوى) رأسه هزة واحدة علامة الموافقة ، ثم استطرد :

ـ حقًا .. لقد نجحت هذه المهمة أيما نجاح .. فبقضائهم على (كاشتا) ، جنبونا تكلفة الحملة العسكرية من وقت وجهد وعتاد ، خاصة أننا لم نكن نضمن مغبتها .. ثم جاءوا بالقائد والنائب الهاربين لنحاكمهما هنا فى طيبة ..

وأخذ نفسًا عميقًا ، أخرجه فى زفرة حارة ، قبل أن يتابع :

ـ والأهم .. عودتهم بعين (أوزوريس) الذهبية ..

وأخرج الحلية الذهبية من بين ملابسه ، لتتعلق بها عيون (سيتى) والأمير (تحتمس) ، حتى سأل (سيتى) دون أن يرفع عينيه عنها :

ـ هل اقتنعوا بقصة الأثر المتوارث ؟!

أجاب (تاوى) فى صراحة تامة :

ـ لا أعتقد ، سيد (سيتى) ..

رفع الأمير (تحتمس) عينيه فى تساؤل ، فسارع (تاوى) يخمد شكوكه فى مهدها :

ـ لكنهم لا يعصون الأوامر إطلاقًا يا سيدى ..

علق (سيتى) بقوله :

ـ وهذه إحدى فضائل جنود (لوتس) يا سمو الأمير ..

غاب (تحتمس) شاردًا للحظة ، وهو يغمغم وعيناه معلقتان بمدى مفقود .

ـ من يدرى ؟! ربما يعلمون الحقيقة يومًا ما ..

هز (سيتى) كتفيه مؤمنًا على حديثه بقوله :

ـ صدقت .. لا أحد يدرى !

نهض الأمير (تحتمس) منتصبًا لتظهر قامته الفارعة ، وتقدم من (تاوى) متناولاً العين الذهبية ، وقلبها فى كفيه ، ثم عاد يسأل (تاوى) :

ـ وماذا عن الساحر (كيكى) ؟! هل شك أحد فى أمره ؟!

هز (تاوى) رأسه نافيًا فى قوة وهو يقول :

ـ مطلقًا ..

قال (سيتى) مستخفًا :

ـ من يره ، لا يستطيع أن يتخيل كونه أكثر من كهل مخرف ، يحلو له دومًا أن يهرف بما لا يعرف !

أومأ الأمير (تحتمس) برأسه قائلاً فى رضا :

ـ هذا حسن ..

ثم راقب التماع أشعة شمس العصر الحمراء فوق العين الذهبية ، ومسح فوقها بكفه ، ثم اتجه نحو صندوق مكعب يقبع عند أحد أركان القاعة ..

كان صندوقًا من الأبنوس المعشق بالزجاج الملون والصدف ، والنقوش الفرعونية المميزة السمات تحتل أسطحه كلها ، بلا استثناء ..

ودون أدنى صوت ، رفع الأمير (تحتمس) غطاءه ، ليظهر أسفله سطح مستوٍ مغطى بقماش رمادى داكن ، وفى منتصف السطح ، يظهر نقش غائر يمثل بوضوح عين (أوزوريس) .. نقش يطابق سمك الحلية الذهبية تمامًا ..

وبعد ما فرغ الأمير (تحتمس) من إشباع نظراته بمرأى العين ، امتدت يده الممسكة بها ببطء شديد واضعة إياها فى الفراغ الغائر المطابق لشكلها وأبعادها وسمكها ، وبسرعة سحب يده بعد تثبيتها فى مكانها ..

مرت ثانية ..

وتألقت العين بوميض فيروزى متقطع .. ثم ارتفعت ببطء إلى أعلى .. بدون أى شىء يجذبها .. وظلت ترتفع فى بطء حتى أصبحت فى مستوى عينى الأمير (تحتمس) .. الجالس القرفصاء .. تمامًا ، وشلال من الضوء الفيروزى الشفاف يصل

بينها وبين النقش الغائر الذى كانت تستقر فيه منذ لحظات معدودة ..

وما هى إلا ثوان أخرى ، عادت بعدها العين تهبط فى بطء إلى النقش من جديد واختفى الضوء الفيروزى تمامًا ، كأنه لم يكن .. وعاد كل شىء إلى طبيعته الأولى .

لم يبد من الواقفين أى نوع من الدهشة أو الاستغراب ، كأنه شىء تعودوا رؤيته كثيرًا ، والتفت الأمير (تحتمس) إلى (سيتى) و (تاوى) قائلاً فى هدوء :

ـ كل شىء على ما يرام ..

ثم أردف فى حسم باتر :

ـ وليبق الأمر تحت بند الأسرار المغلقة ، حتى إشعار آخر ..

أومأ الاثنان له بالموافقة ..

ونظر (تاوى) بطرف عينه إلى الصندوق ، الذى يحمل فى أحشائه سرًا عظيمًا من الأسرار الفرعونية الكثيرة ..

الأكثر من أن تعد .. أو تحصى ..

والأعقد من أن تفهم .. أو تفسر ..

[تمت بحمد الله]

★ ★ ★

رقم الإيداع : ٩٣٣١

الترقيم الدولى : X - ٣٥٢ - ٢٦٦ - ٩٧٧

روايات مصرية للجيب

سلسلة الروايات

في كل رواية متعة دائمة !!

محمد سليمان عبد المالك

لوتس
تماسيح نيلية

النوبة هى شمس محرقة ، وبشرة سمراء ، وأحراش كثيفة ، وتجمعات مائية تسبح فيها تماسيح نيلية ... وإذا أضفنا للصورة أميرًا فى قوة (كاشتا) ، فالأمر جد خطير ...

ربما أخطر مما تتصوره عقولنا ، بكثير !

مطابع سلاح التلميذ

الثمن فى مصر ٢٠٠
ومايعادله بالدولار الأم
فى سائر الدول العر